التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٧٠

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيْت عليهم السلام/ السَّنة ١٢/ العَدَد ٧٠ شهر رمضان - شوال ١٤٣٧هـ/ حزيران - تموز ٢٠١٦م

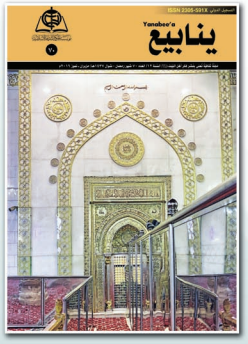

ينابيع ٧٠

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

موسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً أنشرت أم لم تنشر.

في رثاء أمير المؤمنين عليه السلام

السيد محمد جمال الهاشمي

ذكرى لها نفس الشريعة تجزع ... وأسى له عين الهداية تدمع

تتقادم الأعوام وهي جديدة ... تمضي مع الأبد الفتي وترجع

كالشهب لم تذهب نضارتها وإن ... كانت علينا بالمصائب تطلع

تأتي فتندبها قلوب روعت ... حزنا وترثيها عيون همع

نكراء أدهشت العصور بهولها ... نكباء منها كل جيل يجزع

رزء له الإسلام ضج، وحادث ... من وقعه قلب الهدى يتصدع

الله أكبر، أي جرم، ذكره ... يدمي القلوب فتستهل الأدمع
يا ليلة القدر اذهبي مفجوعة ... فلقد قضى فيك الإمام الأنزع
ما كان لولا سره لك حرمة ... روحية منها العواطف تخشع
هو كنه ذاك القدر، والمعنى الذي ... يخفى، وأفق ظهوره متشعشع

* * * * * * * * * * * * * * *

عودي لنا ليلاء لا يبدو لها ... نور، ولا فيها شهاب يسطع
قد غاب نور الله فيك فلا زها ... من بعده أفق وأشرق مطلع
أدرى ابن ملجم حين سل حسامه ... للفتك بالإيمان، ماذا يصنع؟
أردى به التوحيد في ملكوته ... فالعرش مما قد جنى متفجع
أردى به الإسلام في توجيهه ... فشعاعه بدمائه متبرقع
يا فتكة جبارة لم تندمل ... أبدا، وغلة واجد لا تنقع
الدين من جرائها متزلزل ... والحق من نكبائها متزعزع
صمت لها أذن الحوادث دهشة ... وتلجلج التاريخ وهو المصقع
جرح أصاب الطهر في محرابه ... من وقعه قلب الهدى يتوجع
لاقى الإله وذكره بلسانه ... ومضى إليه ساجدا يتضرع
بين الصلاة، وتلك أرفع شارة ... يقضى شهيدا بالدماء يلفع
سر التقرب في الصلاة، ومن به ... تسمو العبادة للإله وترفع

* * * * * * * * * * * * * * *

قد كان ما بين الأنام وديعة ... رجعت، وأي وديعة لا ترجع
ونعاه للملأ المقدس صارخا ... جبريل: قد مات الإمام الأورع

وتهدمت في الأرض أركان الهدى ... فكيانه من بعده متضعضع

قد فل سيف للحقيقة صارم ... وانهد حصن للشريعة أمنع

سهم الضلالة لا برحت مسددا ... لم يبق في قوس الهداية منزع

لولا الزكي لقلت قد سدت به ... طرق إلى الرحمن كانت تشرع

لا زالت الذكرى تحز قلوبنا ... ما عاودت، وتفيض منها الأدمع

يا حضرة قد شرفت برقاته ... أعلمت إنك للهدى مستودع

لا غرو إن طاولت في عليائه ... هام السما فبك الإمام الأرفع

(مستدركات أعيان الشيعة/ حسن الأمين/ ج٢ص٢٩١)

أهم المواضيع

عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسان
م. مصعب مكي زبيبة

القرآنيات
ص (١٠)

ملف العدد
ص (٤٨)
من أيام شهر رمضان .. يوم الفُرْقان
د. هاشم جعفر الموسوي

القول بخلق القرآن ... وموقف الفِرق الإسلامية
د. محمد كاظم حسين الفتلاوي

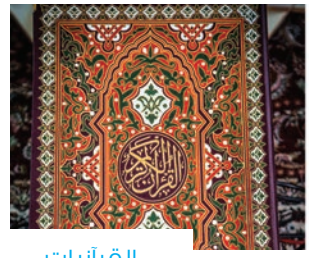

القرآنيات
ص (١٦)

إضاءات السيرة
ص (٥٦)

الأسس المالية في الدولة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
نصير علي موسى

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

مع الفقيه
ص (٦٢)

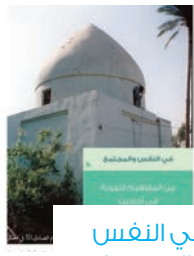

في النفس والمجتمع
ص (٨٤)
من المفاهيم التربوية في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام
أ.م.د خليل خلف بشير

الصَومُ صَمتًا مقاربة عقائدية
أ.م. د: عبد علي حسن الجاسمي

ملف العدد
ص (٤٢)

طروحات عامة
ص (١١٦)
بيئة النجف الأشرف وخصائصها
المحامي عبدالرزاق أحمد الشمري

كلمة العدد

شهر رمضان ... شهر الصبر والنصر والشكر
رئيس التحرير..... ٨

قرآنيات

عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسان
م. مصعب مكي زبيبة..... ١٠
القول بخلق القرآن ... وموقف الفِرق الإسلامية
د. محمد كاظم حسين الفتلاوي... ١٦

ملف العدد

الصوم في عمق تاريخه وغاياته
الشيخ عبد الرزاق آل فرج الله.... ٢٥
خطبة النبي صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان
سكرتير التحرير..... ٣٠
أفضلُ الأعمالِ في شهرِ رمضان
محمدعلي جعفر..... ٣٥
الصَومُ صَمتًا مقاربة عقائدية
أ.م. د: عبد علي حسن الجاسمي... ٤٢
من أيام شهر رمضان .. يوم الفُرْقان
د. هاشم جعفر الموسوي..... ٤٨
﴿ المسلمون ... والشهر الفضيل ﴾
طالب علي الشرقي..... ٥٣

إضاءات السيرة

الأسس المالية في الدولة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
نصير علي موسى..... ٥٦

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى
سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٦٢

قراءات

قراءة ومقارنة بين القرآن الكريم
هادي عبد الأمير الحيدري..... ٦٦

في النفس والمجتمع

من المفاهيم التربوية في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام
أ.م.د خليل خلف بشير..... ٨٤
الجدال بالحسنى منهج إسلامي رصين
الشيخ الدكتور وفقان الكعبي..... ٩٠

للفضيلة نجومها

أبو حمزة الثمالي حياته. وثاقته. علمه ومؤلفاته
لينا أمير عبد الحسين..... ٩٦
عثمان بن سعيد العَمري
د. علي عبد الزهرة الفحام..... ١٠٢

واحة الأدب

الصورة الفنيّة في شعر رثاء الصحابي ميثم التمار رضي الله عنه
الدكتور حسين لفته حافظ..... ١٠٨

مكتبة الإمام الحكيم العامة/ فرع العمارة قديمًا وحديثًا
مقدام محمد جاسم..... ١١٢

طروحات عامة

بيئة النجف الأشرف وخصائصها
المحامي عبدالرزاق أحمد الشمري.. ١١٦
أسلوب الحكم في الفكر الإسلامي
حسن جميل الربيعي..... ١٢٢

حكاية مستبصر..... ٧٢
في الذاكرة..... ٧٨
وقفة مع الذكرى:..... ٨٢
أجوبة مسابقة العدد (٦٨) وأسماء الفائزين.... ١٢٨
مسابقة العدد (٧٠)..... ١٢٩

شهر رمضان ... شهر الصبر والنصر والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية نحمد الله تعالى على نعمته بأن أشهدنا شهر رمضان في عامنا هذا لننعم بنفحاته القدسية وبركاته ورحمته بعد أن كان لنا أخوة أعزاء صاموه معنا في موسمه الماضي وشاء الباري عز وجل أن يكون آخر شهر يصومونه قبل أن يغادرونا إلى دار الحق، فنسأل الله لهم المغفرة والرضوان.

ويحل علينا الشهر الفضيل هذا العام، وأمتنا تخوض فيه أنبل معارك الشرف والعزة والكرامة ضد عدوّ كافر غادر لئيم ، فتسجل قواتنا البطلة الفتوحات والانتصارات الواحدة تلو الأخرى في سوح الجهاد، بعزيمة وتضحيات الرجال الأوفياء المجاهدين الأبطال.

أيُّ سرٍّ فيك يا شهر الله !!... فبينما نحتفل بذكرى النصر الأول للمؤمنين في معركة بدر الكبرى الذي تحقق في أيامك، حبانا الله أيضًا فيك يا شهر الخير والبركات بالنصر والظفر على الأعداء الذين عاثوا في الأرض فسادًا، يقتلون الأبناء وينتهكون الأعراض ويهلكون الحرث والنسل. **(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)**

الحمد لله الذي منَّ علينا بالنصر في هذا الشهر الفضيل، النصر الذي لم يكن ليتحقق لولا التوكل على الله تعالى، وإخلاص النية له سبحانه في إعلاء كلمته، ونيل إحدى الحسنيين، بلا مصالح ضيقة أو مكاسب آنية، وبالإعداد والتجهيز لهذه المعركة، والصبر والثبات، والعزيمة والتضحيات عند مواجهة الأعداء، والالتزام بالفرائض والسنن من صلاة وصيام ودعاء واستغفار، وعدم التفريط بها، والتمسك بنهج محمد وآل محمد في الحروب، والأخذ بتعاليم مرجعيتنا الرشيدة وإطاعتها، بعدم الإضرار بالأبرياء والشيوخ والنساء والأطفال، وتقديم العون والمساعدة لهم وإنقاذهم مما كانوا فيه من الظلم والاضطهاد، والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة،.. وأما باقي الأمة فساهمت بدعمها اللوجستي ومد المقاتلين بالسلاح والمال والغذاء والدواء، فجاء دورها مصداقًا لما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ : من جَهَّزَ غازيًا فقد غزى..أو.. كان له كمثل أجره، إضافة إلى الدعاء في هذا الشهر الكريم للمجاهدين بالثبات والنصر والسلامة، لنكون بكل ذلك قد نصرْنا اللهَ ونهجَهُ، والله سبحانه لا يخلف وعده، فمنَّ علينا بالنصر **(إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)**.

لقد فوجئ العالم بسرِّ القوة التي امتاز بها مجاهدونا، رغم قساوة المعركة، واستحقوا

بجدارة تصنيفهم قوَّةً عسكريةً عالميةً متميزة، فهم من جانب سطروا أروع صور البسالة ورباطة الجأش أمام الأعداء حتى أذهلوا العقول، من غير اعتداء أو انتقام أو تشفٍّ، وفي مشاهد أخرى تناقلتها وكالات الأنباء والمنظمات الحقوقية عبر العالم كانت دموعهم تنهمر إشفاقًا ورحمة وعطفًا على المستضعفين والأطفال من تلك العوائل ، التي كانوا يقدمون لها الماء والطعام، ويعاملونها بحب واحترام، لدرجة جعلت البعيد قبل القريب والمخالف قبل الموالف يشهد على "نظافة" هذه الحرب ونبل غاياتها ونزاهة أساليبها. **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** .

وغني عن البيان أننا بحاجة إلى تعزيز هذا النصر والمحافظة عليه، بالتمسك بأسبابه وعدم التهاون في أي فقرة من فقراته أو التفريط بها، أو التراخي والاغترار . بقدرات قواتنا والركون إليها، فمانح النصر قادر على سلبه، لا سمح الله.

شكرًا لله على هذه النعمة العظيمة ـ وبالشكر تدوم النعم ـ ولْيزيدنا الله من فضله وتوفيقه، **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)**، فمعركتنا مازالت قائمة مع قوى الشرِّ والظلام ولّما تنتهِ بعد، ولنا معها جولات وصولات، وعدونا فاجر لا يرقب في مؤمن إلًّا ولا ذمة، يتربص بنا الدوائر، ويحاول النفوذ بين صفوفنا بشتى السبل لتفريقنا وتشتيت قوانا، ومحاولة إشغالنا بزرع الفتن بين أبنائنا أو إضعافنا وحل عزائمنا من خلال ترويج الشائعات المثبطة لنا. والتي من أهمها زعزعة الثقة بين قياداتنا ورموزنا من جهة وبين جماهيرنا من جهة أخرى، فينبغي على الأمة الحذر والوعي لما يخطط له الأعداء وعدم الانجرار وراء الشائعات أو الإعانة على ترويجها بين صفوفنا، بل ينبغي الوقوف أمامها بحزم وشدة وصد كل من يتفوه بها ومحاولة إرشاده وتوعيته إن كان غافلًا.

لقد علمتنا التجارب والتاريخ يحدثنا أن الأمة التي تتخلى عن قياداتها تتيح للصعاليك أن يتأمروا عليها ويحكموها بالحديد والنار، فلوعة الأمس البعيد والقريب مازالت بين جوانحنا ولم تفارقنا آثارها بعد ، ومرارتها تحت ألسنتنا نغص بها كل حين.

ختاما نذكّر ونحن في هذا الشهر الشريف: أن من مقومات النصر في هذه الحرب رعاية عوائل المجاهدين، فقد ورد عن النبي الأكرمﷺ: (من خلَّف غازيًا في أهله فقد غزى)، وبالخصوص الاهتمام بعوائل الشهداء وأيتامهم، فهؤلاء أمانة الله عندنا، ولهم حق في أعناقنا، ومهما بالغنا في رعايتهم لا نؤدي كامل حقوقهم، بل لا نصل إلى جزء يسير مما جاد به آباؤهم، ألا وقد جادوا بأعز ما يملكون: أنفسهم؟ والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

■ رئيس التحرير

قرآنيات

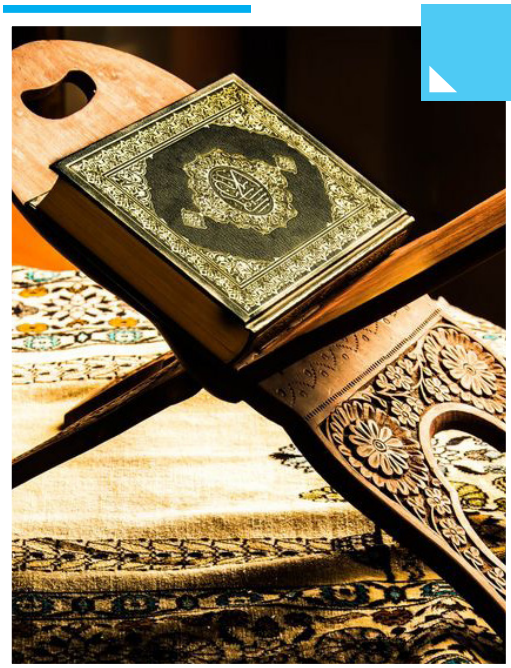

عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسان

د. مصعب مكي زبيبة
جامعة الكوفة ـ كلية الاداب

ينابيع

مما لايخفى على أحد أن القرآن الكريم معجزة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، نزل بلغة العرب وتحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو حتى بسورة واحدة، وهذا التحدي ليس للعرب حين نزوله بل بقي ساريا حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وفي كل جيل نسمع أو نقرأ بعض المشككين في بلاغة القرآن، ولكن سرعان ما تندحض حجتهم الواهية أمام عظمة القرآن وآياته وينكشف جهلهم وإخفاقهم ويبقى القرآن شامخاً عظيماً بعظمة من أنزله سبحانه.

ومما أثير من بعض هؤلاء اعتراضهم على الآية الكريمة في سورة الرحمن: **(الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإنسان)** (سورة الرحمن: آية ١، ٢، ٣)، ويعتقد هذا المعترض أنه كان ينبغي أن تكون الآية حسب تصوره تقول بتقديم خلق الانسان على تعلم القران (الرحمن. خلق الانسان. علم القرآن)، باعتبار أن الخلق أولاً ثم تعلم القرآن. وقد قاس هذا المعترض القرآن الكريم بحسب عقله القاصر، وما علم بأن القرآن الكريم (ظاهرُه أنيقٌ وبَاطنُه عَميقٌ لَا تَفْنَى عَجَائبُه ولَا تَنْقَضِي غَرَائبُه)[1] بحسب وصف أمير البلاغة الإمام علي عليه السلام. وقد جاء عن عبد الله بن مسعود قوله: (إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين)[2]. ولكن الابتعاد عن الثقافة القرآنية، والجهل بالبلاغة العربية وكذلك عدم الإلمام بتاريخ العرب

وفصاحتهم ـ حيث كانوا يبحثون عن ثغرة فيه وهو متحديهم، فلم يجدوا ـ كل ذلك جعل مثل هؤلاء الجهلة يعترضون على فصاحة القرآن الكريم. وللرد على هذا الاشكال نجمل الرد في النقاط الآتية:

١ـ إنَّ سورة الرحمن المباركة في محل ذكر آلاء الله تعالى، ومن أعظم تلك الآلاء، وأكبرها على الناس هي نعمة إنزال القرآن الكريم على الخلق، وإيراد المواعظ والأوامر والنواهي فيه، من أجل تكامل البشرية، ولهذا بدأت بعد الآية الأولى (الرحمن) بذكر النعمة الكبرى والأتم والأهم ألا وهي (تعليم القرآن)، وناسبت ذكر اسمه تعالى (الرحمن) مع تعليم القرآن فهي رحمة، ولهذا جاء في تفسير الكشاف للزمخشري قوله: (عدّد الله عزَّ وعلا آلاءه، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها: وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه؛ لأنَّه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثراً، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها)[٣]. في حين يرى صاحب تفسير الأمثل أنَّ: (الظريف هنا أنّ بيان نعمة (تعليم القرآن) ذُكرت قبل (خلق الإنسان) و (علّمه البيان) في الوقت الذي يفترض فيه أن تكون الإشارة أوّلا إلى مسألة خلق الإنسان، ومن ثمّ نعمة تعليم البيان، وذلك استناداً للترتيب الطبيعي، إلاّ أنّ عظمة القرآن الكريم أوجبت أن نعمل خلافاً للترتيب المفترض)[٤]. ونجد عندما نتأمل الآلاء التي أوردها الباري سبحانه وتعالى في سورة الرحمن أنها جميعا دون هذا الفيض الرباني التي تفضل به على الثقلين. فكان تعداد النعم الإلهية في سورة الرحمن يسير على وفق مدار تصاعدي. وقد ورد عن الرسول الأعظمﷺ: (أفضل العبادة قراءة القرآن)[٥]. وعنه أنه قال ﷺ: (القرآن غنى لا غنى دونه، ولا فقر بعده)[٦]. ولا يتصور هنا الغنى والفقر الماديين فحسب بل هو الغنى والفقر المعنوي، فمن سلبت عنه نعمة القرآن وفضائله كان في خسران كبير، ففي القرآن يحلق الإنسان في سماء الفضيلة، ويكتسب ما يرتقي فيه إلى مصاف الملائكة ثم الفوز بدار القرار.

٢ـ إن الإشارة إلى خلق الإنسان لم يكن عبثا، أو تسلية، وإنما جاء لغرض سام، فالإنسان لم يخلق للدنيا وزينتها، وإنّما خلق للآخرة وثوابها، وهذا ما أشار إليهِ الامام علي عليه السلام بقوله: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّه سُبْحَانَه قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا)[٧]، وهذا ما جاء عليه قول الامام الحسين عليه السلام أيضا بقوله: (إِنَّ اللّه جَلَّ ذِكْرُهُ ما خَلَقَ الْعِبادَ إِلاّ لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوا بِعِبادَتِه عَنْ عِبادَةِ ما سِواهُ)[٨]. فكان تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان إشارة إلى هذا المطلب الدقيق بأن خلق الإنسان جاء من أجل الدين الذي تمثله تعاليم القرآن الكريم، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: (أخّر ذكر خلق الإنسان عن ذكره [أي ذكر القرآن]، ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علماً بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأنَّ الغرض في إنشائه كان مقدّماً عليه وسابقاً له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان)[٩]. فذكر الغاية أولا ثم

ذكر الوسيلة. أو ذكر الأداة أو المبدأ التي يتكامل بها الإنسان أولاً ثم ذكر التطبيق، فالنص القانوني على سبيل المثال يجب أن يكون سابقا للعقوبة. فلا يعاقب الفرد حتى يرد النص القانوني بتلك العقوبة.

٣ـ إن القرآن الكريم وحدة مترابطة متكاملة، تتعالق سوره بعضها مع البعض الآخر، فقد ارتبطت سورة الرحمن بالسورة السابقة لها وهي سورة القمر، التي ابتدأت بقوله تعالى: (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**) (القمر: ١ـ٢) فقد أشار مفتتحها إلى آيات الله الباهرات التي تدل على عزته سبحانه وتعالى، ثم جاءت سورة الرحمن ذاكرة آيات الله التي تدل على الرحمة والالاء، وقد أشار الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) إلى ذلك بقوله: (اعلم أولاً أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين أحدهما: أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب))[١٠]. وهذا التناسق بين السور القرآنية المتجاورة باب من أبواب الاعجاز القرآني وقف عنده بعض المفسرين ومن أبرزهم البقاعي في كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور). وهذا التناسق والتناسب واضح بين سورتي القمر والرحمن بحسب التسلسل القرآني؛ فلما (ختم سبحانه القمر بعظيم الملك وبليغ القدرة، وكان الملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال، وموازنة لما حصل بالملك والاقتدار من غاية التبرك والظهور والهيبة والرعب باسم هو مع أنه في غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتتحاً لها بأعظم النعم وهو تعليم الذكر الذي هز ذوي الهمم العالية في القمر إلى الإقبال عليه بقوله)[١١]. فسورة القمر تظهر في بدايتها وجوه العزة، وأبرزها (انشقاق القمر) وسورة الرحمن تظهر في جوانب الرحمن ومن أظهرها (تعليم القرآن)، فالسورتان تربطان بين طرفي الترهيب والترغيب، فالعزيز الممتنع القادر صاحب الأمر النافذ الذي لا يجارى أمره، ولا يُعارض. والرحيم العطوف المنعم على عباده، وتدلُ الألف واللام فيها على الاستغراق أي: أنَّ عزته ورحمته شاملة، فلا عزيزَ، ولا رحيمَ حقيقيانِ سواه[١٢].

وقدَ جاء في التفاسير أنَّ (علَّم) من العلامة، فكان الربط بين سورة الرحمن بسورة القمر السابقة لها بأنهما افتتحتا معا بآية أو علامة أو معجزة دالة للخلق، فقد جاء في تفسير روح المعاني ما نصه ((وقيل: (علَّم) من العلامة ولا تقدير، أي: جعل القرآنَ علامة، وآية لمن اعتبر، أو علامة للنبوة ومعجزة، وهذا على ما قيل يناسب ما ذكر في مفتتح السورة السابقة من قوله تعالى: (**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**)، وتتناسب السورتان في المفتتح حيث افتتحت الأولى بمعجزة من باب الهيبة، وهذه ـ

يقصد سورة الرحمن ـ بمعجزة من باب الرحمة)[١٣]. ومن هنا يتَّضح أنَّ تقديم (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) على (خَلَقَ الإنسان)، جاء ليحقِّق مطلبًا أسلوبيًا معجزًا؛ لأن هذا التقديم وافق التناسب بين السور القرآنية بعضها مع البعض الآخر، وهو مطلب دقيق لا يصل إليه إلا من وفَّقه اللّٰه تعالى إلى سبل العلم والخير.

٤ـ في تقديم القرآن على خلق الإنسان إشارة إلى أنَّ القرآن أشرف شأناً من الانسان لأنَّ القرآن أدوم تأثيراً وأوسع مدى وأعظم إبلاغاً. فالقرآن سنة ودستور حياة، فقد وردت فيه قصص الأنبياء وكتبهم السماوية التي تعد دساتيرهم ومنها الإنجيل والتوراة وغيرها. وأن القرآن الكريم كان أسبق في ذكر المعلومات التي أوردها سواء أكانت علمية أم كونية أم قصص الأمم السابقة وهذا هو الشيء الطبيعي لأنَّ علم اللّٰه هو الأزلي الدائم. كل تلكم الاستنتاجات وغيرها ولدها تقديم (علم القرآن) على (خلق الإنسان).

وقال آخرون: بل عنى بـ (خلق الإنسان) الناس جميعاً، وإنَّما وحَّد في اللفظ لأدائه عن جنسه، كما قيل: (**إنَّ الإنسان لَفي خُسْر**) (العصر:٢))[١٤]. والمقصود بالآية الشريفة جنس النفس الإنسانية التي تكون عادة في خسارة دائمة في الأيام التي تمضي وفي فقدان الحسنات، وغيرها من الخسران، إلا ما رحم ربي.

٥ـ وقد ذكر سببا آخر في هذا التقديم، مرده التنبيه على أن السبب الحقيقي من خلق الإنسان هو من أجل تكامله بوساطة تعليمه أمور دينه؛ و(ليعلم أنه المقصود بالتعليم، ولما كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن، كان كالسبب في خلقه تقدّم على خلقه. ثمَّ ذكر تعالى الوصف الذي يتميَّز به الإنسان من المنطق المفصح عن الضمير، والذي به يمكن قبول التعليم، وهو البيان)[١٥]. وجاء في تفسير الدر المصون القول: (فإن قيل: لِمَ قَدَّم تعليمَ القرآن للإنسان على خَلْقه وهو متأخرٌ عنه في الوجود؟ قيل: لأنَّ التعليمَ هو السببُ في إيجاده وخَلْقه)[١٦].

٦ـ من الأشياء الطبيعية في العلوم أن تذكر النظرية ثم التطبيق، وهذا الأمر ينطبق في تقديم (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) على (خَلَقَ الإنسان)، إذ القرآن الكريم بمثابة النظرية أو المفهوم الذي قدمه اللّٰه سبحانه إلى خلقه لكي يتعلموها، ومن ثم خلق الإنسان الذي هو بمثابة التطبيق على تلك النظرية الذي قدمها القرآن، فالكتاب التدويني أولاً، ومن ثم الكتاب التكويني، فإنَّ (ذكر اسم ((الإنسان)) بعد ((القرآن)) هو الآخر يستوجب التأمّل، ذلك لأنّ القرآن الكريم يمثّل مجموعة أسرار الكون بصورة مدوّنة ((الكتاب التدويني))، والإنسان هو خلاصة هذه الأسرار بصورة تكوينية ((الكتاب التكويني))، كما أنّ كلّ واحدة منها هي صورة من هذا العالم الكبير)[١٧]. أو الانتقال من العام إلى الخاص، ففي تفسير الميزان جاء ما نصه: (وحذف مفعول "علم" الأول وهو الإنسان أو الإنس والجن، والتقدير علم الإنسان القرآن، أو علم الإنس والجن القرآن، وهذا الاحتمال الثاني وإن لم يتعرضوا له لكنه أقرب الاحتمالين؛ لأن السورة تخاطب في تضاعيف آياتها الجن كالإنس ولولا شمول التعليم في قوله: "علم القرآن" لهم لم يتم ذلك)[١٨].

٧ـ من الوجوه التي يمكن التعليل بها سبب تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان،

ما جاءت به بعض التفاسير بأن المقصود به تعليم القرآن للرسول الأكرم ﷺ، والإنسان في قوله (خَلَقَ الإنسان) هو الإمام علي عليه السلام، وهذا ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، ففي تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن خالد عن أبي الحسن، ورد سؤاله للرضا عليه السلام في قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ**) قال الإمام الرضا عليه السلام: الله علم محمداً القرآن، قال له: (خَلَقَ الإنسان) قال الإمام الرضا عليه السلام: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام قال له: (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) قال: علمه بيان كل شئ تحتاج إليه الناس[١٩]. وبهذا التفسير عن الإمام الرضا عليه السلام يكون التسلسل أيضا طبيعيا، إذ أن الرسول الأكرم ﷺ أسبق مكانة وشأنا وعمرا من الإمام علي عليه السلام.

ومن هنا نعرف أن المورد الإعجازي في آيات القرآن الكريم هي الحاكمة في تسلسل جريان معانيه وصوره وألفاظه، وعدم إدراكنا لمغزى تلك اللمحات الإعجازية لا يسوغ لنا الطعن في درر أفكاره ومعانيه■

(١) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٦١.
(٢) تفسير مجمع البيان/الطبرسي/ج١ص٣٣.
(٣) الكشاف: ٦/ ٤٦١.
(٤) تفسير الأمثل/مكارم الشيرازي ١٧/ ٣٦٣.
(٥) وسائل الشيعة/الحر العاملي/ج٦ص١٦٨.
(٦) م.ن.
(٧) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤٤٦.
(٨) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج١ص٩.
(٩) الكشاف: ٦/٤٦١.
(١٠) تفسير الرازي/الفخر الرازي/ج٢٩ص٨٢.
(١١) نظم الدرر/البقاعي/ج٨ص٢٩٢.
(١٢) في تقديم العزيز على الرحيم دلالة على أنّ رحمته جاءت عن قدرة، وفي القرآن كثيراً ما يأتي لفظ العزيز مقروناً بلفظ الحكيم، ولكن في سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ ورد لفظ العزيز مقرونا بالرحيم؛ لأنَّ السُوْرَةَ تتحدَّث عن عذاب الأقوام السالفة، فالله سبحانه يعذِّب بعزَّته من يستحقُّ العذاب، ويعفو برحمته عمَّن يستحقُّه.
(١٣) روح المعاني/الآلوسي/ج٢٠ص١١٠.
(١٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٢/ ٧.
(١٥) البحر المحيط/ ابن حيان الأندلسي/ج٨ ص١٨٧.
(١٦) الدر المصون/السمين الحلبي/ج١/ ٥٣٣٤.
(١٧) تفسير الأمثل/مكارم الشيرازي/ ج١٧ ص٣٦٥.
(١٨) تفسير الميزان/الطباطبائي/ج١٩ ص٥١.
(١٩) ظ: تفسير نور الثقلين: ٥/ ٢٠١.

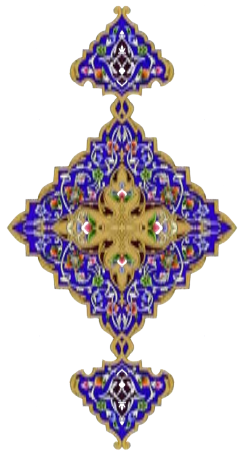

قرآنيات

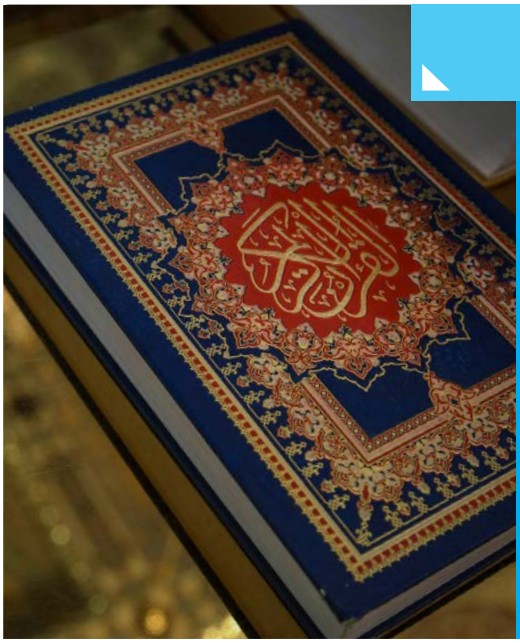

القول بخلق القرآن ... وموقف الفِرق الإسلامية دراسة في البُعد العقدي والسياسي

د. محمد كاظم حسين الفتلاوي
كلية التربية /جامعة الكوفة

ينابيع

أخذت مسألة القول بخلق القرآن أو أزليته في الفكر الإسلامي أبعاداً لم تقتصر على البُعد العقائدي فحسب، بل تعدت إلى البُعد السياسي والتطرف الذي أدى إلى الإقصاء العقدي والجسدي!

ولعل أول من أثار هذه المسألة هم فرقة المعتزلة، وإن كان من المعلوم أن لا خلاف بين المعتزلة وخصومهم من الفرق الإسلامية على أن الله تعالى متكلم وأن له كلام وأن القرآن كلامه، لكن الخلاف حول معنى الكلام وحقيقة المتكلم وهل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟

أجمع المعتزلة على أن القرآن كلام الله؛ أي خلقه الله، فهو مخلوق لله تعالى، يقول القاضي عبد الجبار: (ولا خلاف بين جميع أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول؛ لم يكن ثم كان، وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد، وهو قادر على أمثاله، وأنه يوصف بأنه مخبر به وقائل وآمر وناه من حيث فَعله، وكلهم يقول: إنه عز وجل متكلم به)[1].

وقد أوردوا أدلة كثيرة على حدوث كلام الله، نورد نماذج منها فيما يأتي:

١- أنه لو كان الكلام أزلياً فلا بد من أن يصادف مأموراً مخاطباً في الأزل، والكلام من غير مخاطب سفه يتعالى الله عن ذلك.

٢-اختلاف خطاب الله تعالى للأنبياء عليهم السلام، فخطابه لموسى عليه السلام غير خطابه للنبي محمد صلى الله عليه وآله، ومنهاجه مع الرسولين مختلف، ويستحيل أن يكون معنى واحدًا هو في نفسه كلامه مع شخص على معان ومناهج، وكلامه مع شخص آخر على معان ومناهج أخر ثم يكون الكلامان شيئًا واحدًا ومعنى واحدًا[2]، وهنا ينفي المعتزلة أن يكون الكلام صفة لأنه لو كان صفة لكان كلامه واحدًا، ولاستحالة مع وحدته أن يحوي حقائق مختلفة، لذا لا بد أن يكون فعلًا حادثًا.

٣- تحدي الله سبحانه للعرب بالقرآن

القرآن الكريم

يدل على حدوثه، لأن التحدي بالقديم مستحيل.

٤- القرآن المجيد غير الله سبحانه لأنه يختص بصفات الحدوث التي تستحيل على الله تعالى، فهو متجزئ متبعض، له ثلث وربع، مفصل ومحكم.

٥- لو كان قديمًا لوجب كونه مثل الله تعالى، لاشتراكه في صفة القدم الذاتية، وما خالف الله في بعض صفاته الذاتية يجب استحالة كونه قديمًا[٣].

٦- ربط المعتزلة بين مشكلة خلق القرآن ومشكلة اللغة، وهل هي توقيفية أي أن الله هو الواضع لها، أم اتفاقية أي أن العقلاء من الناس هم الذين وضعوها، والمعتزلة يقولون بأن اللغة اتفاقية، وكون اللغة اتفاقية يقتضي ذلك حدوث كلام الله تعالى، لأنه لابد أن تكون لغة متقدمة يتفق على وضعها العقلاء، ثم يوجه الله تعالى كلامه بها للمخاطبين المكلفين، لأن فائدة الكلام لا ترجع إليه تعالى، بل ترجع إلى غيره من المكلفين، وهذا يعني أنه لابد من تقدم مواضعه يرتب كلامه تعالى عليها، ليصح أن يستدل على مراده بكلامه، وتتم الفائدة للمكلف[٤].

وهنا يرى الدكتور علي عبد الفتاح المغربي في هذا المقام أن للمعتزلة السبق في إبداء هكذا رأي، فيقول: (ويبدو في هذا مواطن الابتكار لدى المعتزلة وتناولهم لمشكلات تصلح للبحث في فلسفة اللغة)[٥].

٧- الاستدلال بآيات من القرآن الكريم على حدوث كلامه تعالى وأن القرآن مخلوق، أن الله تعالى ذكر في كتابه بعد أن بين أن الذكر هو القرآن ما يدل على حدوثه بقوله تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: ٩)، وقوله سبحانه: (**وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ**) (الأنبياء: ٥٠)، وبين أن الذكر محدث بقوله: (**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ**) (الأنبياء: ٢)، وقوله سبحانه: (**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**) (النساء: ١٦٤)[٦]، يدل على حدوث كلامه، لأن (كَلَّمَ) يقتضي أنه أحدث كلاماً ما كلّم به غيره، وقوله تعالى: (تَكْلِيمًا) يقتضي أن ما كلّم به غيره حادث، لأن المصادر لا تكون إلا حادثة[٧].

٨- الدليل من السنة ما يروى عن الرسول ﷺ من قوله: (كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر)، وهذا يدل على حدوث القرآن[٨].

اتضح مما تقدم أن المعتزلة تقول بخلق القرآن الكريم، ويعدونه فعلًا أحدثه الله لا في محل، وأنه حادث، واستدلوا بأدلة لذلك، وأما الأشاعرة ومن مالأهم يذهبون إلى (أن الله متكلم وله كلام، والدليل على ذلك هو إرساله للرسل، وأيضاً تكليفه للعباد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وهذا يدل على أنه آمر ناه وأن له كلام، وعدم الكلام معنى الخرس والسكوت وهي نقائض يتنزه عنها الله تعالى)[٩].

وبهذا قد أثبت الأشاعرة ما أثبته المعتزلة من الكلام اللفظي على اعتقاد أنه حادث ثم يثبتون معه كلامًا نفسيًا قديمًا، وهذا ما أكده الأيجي بقوله: (والذي قالته المعتزلة لا ننكره نحن بل نقول به، ونسميه كلاماً لفظياً، ونعترف بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى، لكنا نثبت أمرًا وراء ذلك، وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ ونقول هو الكلام حقيقة، وهو قديم قائم بذاته تعالى)[١٠].

وإن كان الكلام عندهم هو ما قام بذات الله تعالى، وهو كلام له حقيقة

وليس بحرف ولا صوت، وأما ما بين دفتي المصحف فهو عبارة عن كلام الله تعالى، وليس حقيقة كلام الله، وهو المعروف عندهم بالكلام النفسي[١١].

ومهما يكن من أمر فإن المتتبع لرأي الأشاعرة يلحظ أنهم يعدونه صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، وأن كلامه ليس من جنس كلامنا المكون من أصوات وحروف، وإن لم يصرحوا بأنه قديم، إلا أن الماتريدي (تخطى الحجزات فقرر أن كلام الله تعالى هو المعنى القائم بذاته، سبحانه وتعالى، وهو بهذا صفة من صفاته متصلة بذاته، قديمة بقدم الذات العلية، غير مؤلف من حروف ولا كلمات، لأن الحروف والكلمات محدثة لا تقوم بالقديم الواجب الوجود، لأن الحادث عرض، والعرض لا يقوم بذاته سبحانه وتعالى)[١٢].

رأي الشيعة الإمامية: أن الباحث المتتبع لمسألة خلق القرآن يجدها لا تحمل طابعاً علميّاً ودينياً بقدر ما تحمل طابعاً ودوافع سياسية صرفة، أهمها تصفية حسابات الخليفة العباسي المأمون مع أهل السنة لأسباب عديدة لا يمكن ذكرها في المقام، على أن أهل السنة قد استفادوا من الإصرار على القول بعدم خلق القرآن اعتبارات سياسية أخرى، إذ كان المتوكل العباسي الذي رفض سياسة المأمون قال بعدم خلق القرآن وقرّب الذين رفضوا الخضوع لقول المأمون السياسي وأسبغ عليهم طابع الإصرار على عدم التساوم في دين الله... إلى آخرها من الأمور التي استفاد بها بعضهم سياسيًا كمعارضين ومؤيدين لسياسات هوجاء غير صحيحة، فكانت هناك تصريحات بتكفير مَن يقول بخلق القرآن الكريم[١٣]، والأمر لا يستوجب هكذا فتوى تمزق كيان الأمة وتشتت شملها.

لذا فقد أريقت دماء لقضية ليس لها أثرها العلمي والديني بحال، فخلق القرآن وعدم خلقه لا يعني إلّا لعبة سياسية مقيتة ليس لها آثارها على المجتمع الإسلامي، وبذلك فإن أهل البيت عليهم السلام يعرفون دوافع هذه القضية فأمروا شيعتهم بتجنب هذه المزالق السياسية صونًا لحياتهم الشريفة، وبالمقابل فإن أهل البيت عليهم السلام رفضوا الدخول في هذه اللعبة السياسية التي ترجع عوائدها إلى النظام لا غير.

لذا فإن الإمام جعفر الصادق عليه السلام تدارك هذه القضية حينما سُئل عن القرآن أهو مخلوق أم لا؟ فقال: (القرآن كلام الله محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله تعالى ذكره وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، كان الله عز وجل ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول، وكان عز وجل ولا متكلم ولا مريد ولا متحرك ولا فاعل عز وجل ربنا فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه عز وجل ربنا، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فيه خبر من كان قبلكم وخبر ما يكون بعدكم، أنزل من عند الله على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله)[١٤].

وهكذا نلحظ الإمام يبتعد عن التسمية بلفظ المخلوق إلى القول بأنه محدث لما فيه من الإيهام بكونه منحولًا، وهذا يستفاد أيضًا من كلام الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) وهو في معرض تعليقه على كلام الإمام عليه السلام، فيقول موضحًا: (معنى قوله عليه السلام (غير مخلوق) غير مكذوب، ولا يعني به أنه غير محدث، لأنه قد قال: (محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله تعالى ذكره) وإنما منعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغة قد يكون مكذوبًا ويقال (كلام مخلوق)

أي مكذوب، قال الله تبارك وتعالى: (**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**) (العنكبوت: ١٧) أي كذباً)[١٥].

ويرى الشيخ المجلسي بهذا أن في قول الإمام عليه السلام تقية، فيقول: (الظاهر أن فيه نوعًا من التقية أو الاتقاء لامتناع المخالفين من إطلاق هذا اللفظ على القرآن أشد الامتناع)[١٦].

وبذلك تجد أن الإمام عليه السلام قد اجتنب الدخول في هذه اللعبة السياسية التي أريقت بسببها دماء دونما طائل.

نعم، إن الأئمة عليهم السلام أكدوا على قضايا حيوية مثل البداء والأمر بين الأمرين وغيرهما من القضايا الإسلامية الحيوية، في حين تجنّب الأئمة عليهم السلام إقحام أنفسهم وشيعتهم بقضايا لم تجد لها أي تأثير على المستويين العلمي والعقائدي كما قلنا.

وبكلمة فإن الشيعة الإمامية يذهبون بالقول إن القرآن مخلوق، ويرون أن من وصف الكلام بالقدم (فقد أثبت مع الله تعالى قديماً آخر، وذلك خلاف ما أجمعت عليه الأُمّة في عصر الصحابة والتابعين، ومن بعدهم إلى أيام الأشعري)[١٧].

ومن لطيف ما قاله ابن عاشور في هذا المورد هو: (أنه كلام الله أوجده الله ليدلّ على مراده من الناس وأبلغه إلى الرسول صلى الله عليه وآله بواسطة المَلَكْ، فلم يكن من تأليف مخلوق ولكن الله أوجده بقدرته بدون صنع أحد، بخلاف الحديث القدسي)[١٨].

وعلى كل حال نعتقد أن مسألة خلق القرآن أو أزليته ذات صلة بالأحداث السياسية والنحلية والطائفية والعنصرية التي حدثت في القرون الإسلامية الأولى، وكان لتسرب الأساليب الكلامية والكتب الفلسفية الأجنبية أثر قوي فيها، وأنها لا تتصل بآثار نبوية موثقة ثابتة في ذاتها، فضلًا عما هناك من آثار عن المعصوم تنهى عن التورط في بحوث قد تنتهي إلى الخوض في ماهية الله والقرآن ومحتوياته وإنه يكفي للمسلم أن يظل فيها في حدود التقريرات القرآنية من أن القرآن كلام الله ومن عند الله، ومن أن الله ليس كمثله شيء، وإن ما عدا ذلك متصل بسرّ الوجود وواجب الوجود وسرّ الوحي والنبوة مما لا يستطاع إدراكه بالعقل البشري، وإنه لا طائل من الجدل والخلاف فيه ولا ضرورة له، وإنما الذي يعنينا هنا هو تقرير أن هذه المسألة الخلافية قد تكون أدت بين حين وآخر وبقصد وبغير قصد إلى إغفال الآيات القرآنية وصلتها بأحداث سيرة المعصوم، وعدّ هذه الأحداث والظروف شأنًا عابرًا .

وأن هذا قد أدى إلى ما قيل من أقوال وضمّن من تخمينات حول أسرار القرآن وحروفه ورموزه ومغيباته وماهيات ما جاء فيه من مشاهد الكون ونواميس الخلق وقصص التاريخ والأمثال ومطوياتها مما لا يتسق مع حقائق الأمور وأهداف القرآن الواضحة في الهداية والإرشاد والدعوة إلى الخير والحق وأسباب السعادة، ومما فيه تشويش على الأهداف وعلى الناظر في القرآن والراغب في تفهمه وتفهم سيرة المعصوم (النبي والإمام) والأسس والمبادئ القرآنية، وما كان من سير التشريع القرآني■

---

١) المغني، ٨٧/٧، للتوسعة ظ: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ١٧٤/٣.

٢) ظ: الشهرستاني، نهاية الاقدام، ص٢٩٠ - ٣٠١.

٣) ظ: القاضي عبد الجبار، المغني، ٨٠/٧ - ٨٦.

٤) ظ: المصدر نفسه، ١٨٢/٧.

٥) الفرق الكلامية الإسلامية، ص٢٢١.
وتجدر الاشارة إلى أن في هذه المسألة أقوال: الأول: إن الواضع هو الله سبحانه، وإليه ذهب الأشعري وأتباعه. والقول الثاني: إن اللغة من وضع البشر، وإليه ذهب أبو هشام ومن تابعه من المعتزلة. والقول الثالث: إن ابتداء اللغة وقع بالتعليم من الله سبحانه، والباقي بالاصطلاح. والقول الرابع: إن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح أما الباقي فهو توقيف، وإليه ذهب أبو أسحاق وقيل إنه ذهب بالرأي السابق. القول الخامس: إن نفس الألفاظ دلت على معانيها بذاتها، وبه قال عباد بن سليمان الصيمري. والقول السادس: إنه يجوز كل واحد من هذه الأقوال (عدا قول عباد فإنهم جزموا ببطلانه) من غير جزم بأحدها. ظ: الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، ١٨١/١، الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول، ٦٩/١، محمد رضا المظفر، أصول الفقه، انتشارات اسماعيليان، قم، ١٤٢٧هـ، ط١٦، ١٤/١.

٦) ونظراً لهذا الرأي عند المعتزلة نلحظ أن الزمخشري يفسر هذه الآية الكريمة بقوله: (ومن بدع التفاسير أنه من الكَلَم، وأن معناه وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن)، الكشاف ٦٢٤/١، ويعلق ابن المنير (ت٦٨٣هـ) على رأي الزمخشري بقوله: (وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات، إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام، لا بذات الله تعالى،..).المصدر نفسه.

٧) ظ: القاضي عبد الجبار، المغني، ٨٧/٧ - ٩٠.

٨) المصدر نفسه.

٩) الجويني، الإرشاد، ص٩٩. للتوسعة في أدلة الأشاعرة على قدم القرآن ظ: الأشعري، اللمع، ص٢٢، الرازي، معالم أصول الدين، ص٥٤.

١٠) شرح المواقف، ٩٣/٨.

١١) الكلام النفسي: وهو أن حقيقة الكلام عندهم هو ما قام بالنفس، واللفظ غير داخل في حقيقته، وهذا قول لم يُسبقوا إليه البتة. إذ الكلام في اللغة: هو اللفظ والمعنى، أو لفظ جاء لمعنى، ولا يُعرف الكلام في لغة العرب إلا هذا.
وكان ابن كُلاب أول من قال بهذا المعنى – الكلام النفسي -، وأن الله لا يتكلّم بمشيئته، وأن كلامه بلا حرف ولا صوت، وتبعه عليه الأشعري. ظ: الشهرستاني، الملل والنحل، ٨٣/١.

١٢) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد/محمد ابو زهرة، ص١٨٢.

١٣) (..مَن قال بخلق القرآن، فهو كافر)، الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص٢٥.

١٤) الصدوق، التوحيد، ص٢٢٧.

١٥) م.ن.

١٦) بحار الأنوار/ المجلسي ٨٥/٥٤.

١٧) مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة الأسئلة العقائدية، ١٤٢٩هـ، ٣١/٥. ومن القائلين بهذا الرأي الفقيه ابو حنيفة وغيره، للتوسعة ينظر المصدر نفسه.

١٨) التحرير والتنوير، ٢٦/١٠.

فضل قراءة القرآن

عَنْ مِنْهَالٍ الْقَصَّابِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام: قَالَ:

(مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِه ودَمِه وجَعَلَه اللهُ عَزَّ وجَلَّ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وكَانَ الْقُرْآنُ حَجِيزاً عَنْه يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ كُلَّ عَامِلٍ قَدْ أَصَابَ أَجْرَ عَمَلِه غَيْرَ عَامِلِي فَبَلِّغْ بِه أَكْرَمَ عَطَايَاكَ قَالَ فَيَكْسُوه اللهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ حُلَّتَيْنِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ويُوضَعُ عَلَى رَأْسِه تَاجُ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يُقَالُ لَه هَلْ أَرْضَيْنَاكَ فِيه فَيَقُولُ الْقُرْآنُ يَا رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَرْغَبُ لَه فِيمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيُعْطَى الأَمْنَ بِيَمِينِه والْخُلْدَ بِيَسَارِه ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَه اقْرَأْ واصْعَدْ دَرَجَةً ثُمَّ يُقَالُ لَه هَلْ بَلَغْنَا بِه وأَرْضَيْنَاكَ فَيَقُولُ نَعَمْ قَالَ ومَنْ قَرَأَه كَثِيراً وتَعَاهَدَه بِمَشَقَّةٍ مِنْ شِدَّةِ حِفْظِه أَعْطَاه اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَجْرَ هَذَا مَرَّتَيْنِ). (الكافي / ٢ / ٦٠٣)

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ:

قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله يَا مَعَاشِرَ قُرَّاءِ الْقُرْآنِ اتَّقُوا الله عَزَّ وجَلَّ فِيمَا حَمَّلَكُمْ مِنْ كِتَابِه فَإِنِّي مَسْؤُولٌ وإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ إِنِّي مَسْؤُولٌ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وأَمَّا أَنْتُمْ فَتُسْأَلُونَ عَمَّا حُمِّلْتُمْ مِنْ كِتَابِ الله وسُنَّتِي).

(الكافي / ٢ / ٦٠٦)

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ:

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيه مَنَارُ الْهُدَى ومَصَابِيحُ الدُّجَى فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَه ويَفْتَحُ لِلضِّيَاءِ نَظَرَه فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ). (الكافي / ٢ / ٦٠٠)

ملف العدد

فضل شهر رمضان

* عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم فقال:

(أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيّامه أفضل الأيّام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفّقكم الله لصيامه وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم . أُذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلى عباده ويجيبهم إذا ناجوه ويلبّيهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله عزّ وجلّ ذكره أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أيّها الناس من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه، فقيل: يا رسول الله وليس كلّنا نقدر على ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيّها الناس من حسّن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف منكم في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه. ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيّها الناس إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلّقة فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم). (عيون أخبار الرضا/ الشيخ الصدوق/ ج١ ص٢٦٥)

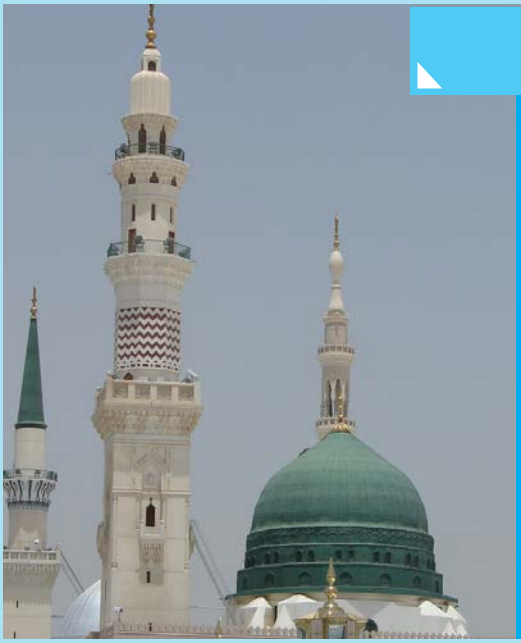

ملف العدد

الصوم في عمق تاريخه وغاياته

الشيخ عبد الرزاق آل فرج الله
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

عملية الصيام عميقة الجذور في التأريخ، وأصيلة المنبع في وجود الكائنات قبل أن يحددها القرآن الكريم بهذه الكيفية، وترتبط جذور هذه الفريضة التأريخية على مستويين:

الأول: على صعيد الجانب الكوني العام، فمن المعروف أن صيام الحيوانات أمر طبيعي، يرتبط بحياتها التكوينية، ونظام غذائها بما يناسب طبيعتها، فبعض المخلوقات تصوم لبضعة أيام وبعضها لفترات طويلة، والنباتات تصوم مدة من الزمن برقدة تحت أجنحة الشتاء، ثم تعود وقد اكتست حلة جديدة خضراء ندية، وبدأت في استعادة حيويتها بعد تلك الرقدة.

وقد يرى الفلاح أنّ من الضروري أن يفرض على مزروعاته الصيام فترة من الزمن، لحكمة تكوينية تقتضيها طبيعة النمو للمزروعات.

الثاني: على مستوى الجانب الإنساني، فالمعروف أنّ الأمم السابقة كانت تفرض على أفرادها عمليّة الصيام قبل أنْ تصلها الرسالات السماوية لفترات متعاقبة، إيمانا منها بضرورة التكيف على قلة الطعام، بحكم ارتباط عملية الصّيام بحاجة كلّ كائن إلى الخير والعطاء منذ وجوده إلى فنائه.

والإنسان أبرز الكائنات التي تتطلع إلى الخير والأمان والعزم والقوة والنقاء والطهر، ويعد الصيام كفيلًا أو مساهمًا بتوفير ذلك إلى الإنسانية .

وقد أشار القران الكريم إلى عمق هذه الغاية بقوله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) (البقرة:١٨٣).

(والمراد بالذين من قبلكم، الأمم السابقة من المليين في الجملة، ولم يعين

القرآن من هم، غير أنّ ظاهر قوله : كما كتب، إنّ هؤلاء من أهل الملّة، قد فرض عليهم ذلك ولا يوجد في التوراة والإنجيل الموجودين عند اليهود والنصارى ما يدل على وجود الصيام وفرضه.

بل الكتابان يمدحانه ويعظمان أمره، لكنهم – أصحاب التوراة والإنجيل – يصومون أياما معدودة في السنة إلى اليوم بأشكال مختلفة كالصوم عن اللحم، والصوم عن اللبن، والصوم عن الأكل والشرب.

وفي القرآن الكريم قصة صوم زكريا عليه السلام عن الكلام، وكذلك صوم مريم عليها السلام عن الكلام، بل الصوم عبادة مأثورة عند غير الملّيّين، ينقل عن مصر القديمة واليونان القديم والرومانيين، والوثنيون من الهند يصومون حتى اليوم)[1]، فإنا وإن لم نطلع على تحديد معين من الصيام قبل الإسلام إلا أن المتيقن وجود أوقات وسنن محدّدة يصوم على أساسها الملّيّون وغيرهم.

فقد نقل القرآن الكريم عن زكريا عليه السلام قال : (**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**) (مريم:١٠).

وفي خطابه إلى مريم عليها السلام جاء قوله تعالى: (**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا...**) (مريم:٢٦).

ومن خلال عمق جذور هذه الفريضة، وأصالتها التأريخية على مستوى الأديان كافة، نعرف أننا والأمم السابقة نشترك في ضرورة الوصول إلى غايات وأهداف ترتبط بوجودنا كأية أمة من الأمم لها دينها ومنهجها.

ولا شك في أنّ الغايات التي تنشدها الأمة المسلمة هي أسمى الغايات وأنقاها، على المستوى الإسلامي والإنساني معًا، إذ تتمثل في السعي نحو سعادة الدارين، وسر هذه السعادة مرضاة الله تعالى وإستمداد رعايته، ودعمه وإسناده لهذا الوجود.

والغاية من تشريع فريضة الصيام، لا تنفصل عن الغاية من الشريعة الإسلامية ككل، والتي ترتبط كافة أحكامها وخطوطها بمصالح واقعية، تعود على البشرية في تكوينها وفي كافة نواحي وجودها، وضمان الإستقامة لمسيرتها في الحياة.

إلا أنّ بعض المصالح والأهداف من الإلتزامات في الشريعة تكون واضحة بارزة، يتم إدراكها والتوصل إليها على مدى تطور الفكر الإنساني وتطلعاته، كما هو شأن الكثير من الواجبات والأحكام والتشريعات الإسلامية.

وأمّا البعض الآخر من الواجبات، حتى هذا الوقت ـ وبالرغم من تطور الإدراك البشري، وتضلعه في الإكتشافات العلمية - بقيت أسرارها وحكمها مغمورة خفية، ولم يمكن التوصل إليها، مثل عدد الركعات في الصلاة باختلاف أوقاتها، وكعدد السجدات في كلّ ركعة.

وسمي هذا الجانب الخفي من ملامح العبادة بـ: (الغيبية في تفاصيل العبادة) لتأكيد روح الانقياد والاستسلام، والارتباط المطلق لله تعالى، (فكما تنمي وترسخ روح الطاعة في نفس الجندي خلال التدريب العسكري بتوجيه أوامر إليه وتكليفه بأن يمتثل إليها تعبّدًا وبدون مناقشة كذلك ينمي ويرسخ شعور الإنسان العابد، بالارتباط المطلق بربّه بتكليفه بأن يمارس هذه العبادات بجوانبها الغيبية، انقيادًا واستسلامًا.

فالانقياد والاستسلام يتطلب افتراض جانب غيبي، ومحاولة التساؤل عن هذا الجانب الغيبي من العبادة، والمطالبة بتفسيره، وتحديد المصلحة فيه، يعني تفريغ العبادة من حقيقتها كتعبير عملي عن الاستسلام والانقياد، وقياسه بمقاييس المصلحة والمنفعة كأيّ عمل آخر..)[٢].

وفي فريضة الصيام نفسها توجد بعض التفاصيل ذات الأسرار الخفية الجوانب، التي يتمثل فيها الانقياد المطلق للمعبود المطلق، مثل تحديد الصيام لفترة النهار فقط، وكونه محددًا بصيام ثلاثين يومًا من كل عام، وغير ذلك مما قد يعجز الفكر البشري أن يعطي فيه تفسيرًا محددًا، أو مصلحة تجمع عليها الأفكار والافهام.

ولكن بصورة عامّة عندما تتناول فريضة الصيام على بساط البحث والتحليل، من أجل استقراء بعض الملامح الإيجابية المتوخاة من وراء هذه الفريضة، وبدل الخوض في معرفة أهداف وغايات الصيام بصورة تفصيلية مطولة، لابد من معرفة حقيقتين مسلّمتين :

الحقيقة الأولى: إنّ أيّة مادّة من مواد التشريع الإسلامي والتزاماته، إنما هي من أجل خير الإنسان ومصالحه، والذي ما فتيء يسعى إلى الخير بطبعه ما وسعه، وليس لله تعالى حاجة لالتزامات الإنسان، لأنه هو الغني المطلق، وعليه، فهو المتفضل على العبد بالهداية إلى سواء السبيل: (**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) (الحجرات: ١٧).

ومن هنا لم تكن الواجبات والالتزامات طوقًا من قيود العبودية، أو عاملًا من عوامل الإرهاق والإيذاء للعباد، وإنما تحقق

للعبد المؤمن نتيجتين في الحياة هما :

أولًا: إنّها روافد تطهير وتزكية للنفس، ومنابع خير ونعمة، من لدن الله تعالى على الإنسانية: (**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (المائدة: ٦).

ثانيًا: إنّها روابط حبّ، وعلائق مودّة ورحمة بين العبد وربّه عزّ وجل لا كأيّ من الرّوابط الأخرى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**) (البقرة: ١٦٥).

ولذلك جعل الله تعالى على لسان عبده المؤمن مسألة ومطلبًا عظيمًا، وهو سؤاله الهداية من ربّه تعالى بقوله: (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) (الفاتحة: ٦) إذ يتكرّر هذا المطلب في كلّ صلاة من الصلوات الخمس مرتين أو أكثر، لما له من دور هام في حياة الإنسان المسلم، لأنّ الهداية منبع نعمة الله تعالى، ومهبط تكريمه وعنايته بعبده، يرتبط هذا المطلب بمواكبة قواعد وضوابط شريعة الله عزّ وجل. قال تعالى :

(**وَأَنْ لَو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**) (الجن:١٦)، (**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**) (المائدة: ٦٦).

الحقيقة الثانية: إنّ الإنسان لا يستطيع بنفسه أنْ يحدّد أو يقدّم الضمان لمصالحه وخيره، وإنما يحتاج إلى من هو أقدر منه على تحديد غاياته ومصالحه، وإلى من يرسم الطرق الموصلة إلى تلك الغايات، لأنّ الإنسان محدود في تكوينه وخبراته العقلية، سريع التأثر والانفعال والارتباك والخوف.

قال تعالى: (**إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**) (المعارج:١٩-٢٣)

فهو ذو طبيعة متزلزلة هلعة متخوفة، تربكها الشرور وتزعزعها المصاعب والنكبات، وتبطرها النعم، وتتحكم بها أشكال من الميول والأهواء، فيحتاج في حياته الطويلة المضنية، إلى رابطة روحية دائمة بالله تعالى، تستوي من خلالها لديه حالات الشدّة والرخاء، وإلى تخطيط حكيم شامل لتحديد طريقه وأهدافه وواجباته وحقوقه، ولاشك أنّ الله تعالى هو وليّ التخطيط المطلوب، وصاحب الحاكمية المطلقة، والولاية الدائمة على الكون والحياة.

(**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (آل عمران:٢٦).

وفي دعاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام الذي علمه أبا حمزة الثمالي رضي الله عنه والمسمى باسمه، والذي يقرأ في أسحار شهر رمضان قوله : (مِنْ اَيْنَ لِيَ الْخَيْرُ يا رَبِّ وَلا يُوجَدُ إلاّ مِنْ عِنْدِكَ، وَمِنْ اَيْنَ لِيَ النَّجاةُ وَلا تُسْتَطاعُ إلاّ بِكَ، لاَ الَّذي اَحْسَنَ اسْتَغْنى عَنْ عَوْنِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَلاَ الَّذي اَساءَ وَاجْتَرَأَ عَلَيْكَ وَلَمْ يُرْضِكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ)[٣].

وهكذا ـ إذًا- أينما وضع الإنسان، وفي أيّ موقع من مواقع هذا الوجود، فهو قاصر عن إعطاء الحلول والمعالجات لمشاكله وقضاياه، وهو جاهل بما يمليه

عليه المستقبل من ظروف وملابسات، وهو أضعف من أن يملك لنفسه نفعا، أو يدفع عنها ضرًا، ولا يملك موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وهو لا تدري نفسه ماذا تكسب غدًا ولا تدري بأيّ أرض تموت.

وعلى أساس هاتين الحقيقتين، جاء القرآن الكريم يحمل هذا التخطيط الحكيم لحياة الإنسان، ويقدم له الحلول والمعالجات لمشاكله، وأزماته في كل عصر، ويدعوه إلى مواكبة أوامر الله عزّ وجل.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٢٤)

ومن ناحية أخرى جاء يتكفل العناية بتربيته وإعداده للصنع والإبداع في كافة مرافق الحياة، وعلى كافة الأصعدة والمستويات، ليهيئ منه الإنسان الصالح لخلافة الأرض وإعمار الحياة، ولقد قام منهج التربية في القرآن الكريم لبناء شخصية الإنسان وتطوير مواهبه على أسلوبين:

الأول: الأسلوب النظري: وهو الذي يتكفل إعطاء وتنمية المفاهيم والتصوّرات الفكرية لهذا الإنسان على مستوى أسس العقيدة والأخلاق والقيم السامية، وتثبيت جذورها في أعماق نفسه بصفتها تشكل مادة التعامل الاجتماعي وأساس الحياة الهانئة، كمفاهيم البر والإحسان، والحب والوفاء، والأمانة والاستقامة، والصبر.... إلى غيرها من المفاهيم التي تعتبر من المسلمات الإيمانية المعمقة في نفس المؤمن.

الثاني: الأسلوب العملي: وهو الذي يتكفل عملية المسح الطبي لكل أمراضه وأدوائه بإعطاء واجبات، وتكاليف، وإلتزامات عملية منتظمة، يقوم بأدائها الإنسان في حياته مع الله تعالى، ومع المجتمع، ومع الأسرة، وحتى مع نفسه، لأجل أنْ يخلق منه إنسانًا سليمًا في كلّ شؤون حياته، وجادًا مجتهدًا متحرّكًا في كلّ مجالاتها، بالعمل والإبداع المنتج للخير والبر الدائمين.

ونكتفي بهذا القدر من الإشارة الإجمالية للغايات من هذه الفريضة المقدسة، إذ يتطلب التفصيل منا صفحات مطولة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

(١) الميزان في تفسير القرآن/السيد الطباطبائي/ ج٢ص٧.

(٢) مقدمة الفتاوى الواضحة/السيد محمد باقر الصدر.

(٣) مصباح المتهجد/الشيخ الطوسي/ص٥٨٢.

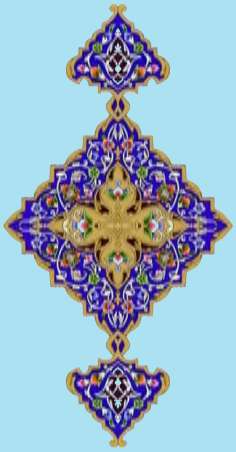

ملف العدد

خطبة النبي صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان

سكرتير التحرير

ينابيع

لعلنا لا نجد في أحاديث المعصومين عليهم السلام المروية في بيان فضيلة شهر رمضان المبارك نصًا أجمع من خطبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله التي ألقاها في آخر جمعة من شهر رمضان في إحدى السنين التي تلت هجرته إلى المدنية المنورة وذلك في استقبال الشهر المبارك، فقد اشتملت على بيان تكاليف المسلمين فيه إضافة إلى بيان عظمة شأنه وسمو منزلته[1].

اعتمدنا في بيان نص هذه الخطبة على ما رواه السيد ابن طاووس (ت ٦٤٤هـ) في كتابه إقبال الأعمال ص٢٤٦ نقلاً عن كتاب (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) بإسناده إلى الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه وأجداده الطاهرين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم فقال: (أيها النّاس إنّه قَدْ أقبل إليكم شَهرُ اللّه بالبركةِ والرحمة والمغفرة شَهر هُوَ عِندَ اللّه أفَضل الشهور وأيامه أفضلُ الأيام ولياليه أفَضل الليالي وساعاته أفَضل الساعات، هُوَ شَهر دعيتم فيه إلى ضيافة اللّه وجُعلتم فيه مِن أهْل كرامة اللّه، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعمَلكم فيه مقبُول ودعاؤكُم فيه مستجاب ، فسلوا اللّه ربّكم بنيّات صادقة وقلوب طاهره أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فان الشقّي مَن حُرم غفران اللّه في هذا الشّهر العَظيم...) الخ.

لا يخفى أن مهمة النبي صلى الله عليه وآله في تنوير عقول الناس ومن ثم تهذيب أخلاقهم هي الغاية من بعثته فقد قال صلى الله عليه وآله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2].

ومعنى بعثته صلى الله عليه وآله: هو كونه مأموراً من الله تعالى بإصلاح هذا النوع الإنساني لأنه صلى الله عليه وآله قد استجمع الآداب الإلهية وخصائص السفارة الربانية فهو عارفٌ بحقيقة

النفوس وكلتي نشأتيها في الدنيا والآخرة وأحوال الخلائق في تلك الدار ورجوع الكل إلى الواحد القهار، فيسوقهم ﷺ إلى رضوان الله الأكبر، وذلك من خلال تكميل الجزء العلمي بتصوير الحقائق والمعارف الإلهية.

وكذا تكميل الجانب العلمي من الإنسان بالتصفية والتهذيب[٣] باعتبار أن الإنسان فيه عقل فيكتسب المعلومات النظرية الحقة لابتناء السلوك العملي في شخصيته على تلك التوجيهات والاعتقادات فما أتى به النبي ﷺ من تعاليم وعبادات هي نظام متكامل يرتقي بالإنسان من هذه الحياة الدنيا إلى دار الحياة الأبدية عن طريق الإذعان والإيمان بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وكل ما صدر منه ﷺ ومن خلفائه أهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى: (**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمنينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) (آل عمران:٤ ١٦).

فيتلو عليهم آيات القرآن وكانوا من قبل جهالًا لم يسمعوا وحيًا (ويزكيهم) يطهرهم من دنس العقائد والأعمال ويعملهم القرآن والسنة[٤].

إن هذا الشهر المبارك الذي وردت بحقه تعاليم الخطبة وبما فيه من العبادات يمثل مرحلة من مراحل عمر الإنسان ومنزلًا من منازله لأن شهور العبادة خلال السنة التي تتألف من اثني عشر شهرًا هي كالمراحل والمنازل من حيث بداية عمر الإنسان وخروجه إلى الدنيا إلى أن يصل إلى انقضاء أمر الدنيا الزائل، وفي كل

منزل منها منذ ارتضاه الله سبحانه لتشريعه بالتكليف ذخائر وكنوز، وحيث أن المسافة بعيدة إلى داره ومقره الأبدي فمهما ظفر به المسافر من الذخائر فإنه لا يستغني عنه وعن الزيادة، فإنه في هذه الدنيا عملٌ بلا حساب وغداً حسابٌ بلا عمل، وعندما ينقطع عن الإنسان عمله ويسلب الاختيار الذي وهبه الله تعالى إياه ويجد من نفسه أسيراً فيتذكر فقدان هذه الساعات[٥]. إذًا العلاقة بين الإنسان وعمره وسلوكه هي علاقة متحركة ظاهرها الزمن وتحتاج إلى تنظيم، ومن هنا فإن العبادة تنظم حركة الإنسان للوصول إلى غاية معينة وهي لقاء الله تعالى.

فمن هنا كانت الخطبة تحتوي على التذكير بالمبدأ والغاية وهو المعاد وما بينهما من زاد لذلك السفر والحركة وهو التحلي بالصفات الأخلاقية المرضية، ولذا نرى في بداية الخطبة قوله ﷺ: (... قَدْ أقبل إليكم شَهرُ الله بالبركة والرحمة والمغفرة شَهر هُوَ عِندَ الله أفَضَل الشهور وأيامه أفضلُ الأيام ... هُوَ شَهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله...). تتحقق في هذا المنزل المبارك والشهر العظيم ضيافة الله تعالى لعباده، ومعنى ضيافة الله تعالى نستوحيها من خصوصيات الضيافة المألوفة عند بني الإنسان في إظهار المعاملة الحسنة وإكرام الضيف بكل ما يستطاع من حيث المكان والطعام ووسائل الضيافة، وحسن الضيافة من الصفات الكمالية التي أودعها الله في فطرة الإنسان والله تعالى هو مبدأ ومصدر جميع الكمالات فأي صفة كمالية نراها في شخص أو في شيء موجود نراها في المبدأ تعالى بأشرف وأكمل صورها فهو تعالى ينزل الضيف في أفضل منزل ويقدم له أشرف الأشياء وأنفسها، إن أفضل المنازل والمقامات هو منزل الربوبية، وبذا يكون الصوم بابًا من أبواب العبادة لنيل العبودية، وحقيقة العبادة هي التسليم والطاعة لله تعالى في الأوامر والنواهي[٦].

إن حقيقة الصوم أو أدناها أن يقتصر الإنسان بالكف عن المفطرات، وهناك مراتب أعلى أن يضيف إليه كف الجوارح فيحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بريبة، وكذا سائر الأعضاء لها تكليفها الخاص بها حتى يقطع الطريق إلى أبواب النيران ومداخل الشيطان ليكون الصوم الحقيقي هو الموصل إلى رضا الله تعالى، والصائم الذي لا يحس بهذا ولا يدرك هذا المقام لن يتيسر له الورود إلى محفل ضيافة الله تعالى ولن يحظى بعطايا وهبات إلهية، لذا نرى في الخطبة التركيز على الجانب الأخلاقي وهو مما يساعد على تصفية باطن الإنسان لكي يكون مستعداً لتلقي أنوار وبركات الشهر.

إذا عندنا نفس الإنسان وهي مصدر سلوك وعمل الجوارح، وموانع العبادة من الأمراض النفسية التي تسبب المعاصي والذنوب، وعندنا الأعمال والعلاجات والتي هي جملة من القضايا والأعمال الصالحة من صلة الأرحام وحفظ اللسان وغض البصر ومراقبة السمع والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب وغيره مما ورد فيها، فيقول ﷺ: (أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم...)...الخ، إذًا علينا ملاحظة علاقة النفس بالعمل، وقبل الالتفات إلى هذه المسألة نوضح لفظ (أبواب النيران وأبواب الجنان) الوارد في الخطبة، فكل لفظ له معنى وله فرد ومصداق محسوس

نراه في الخارج، فمثلًا لفظ (الميزان) معناه ما يوزن به الأشياء وقد يكون هو هذا الميزان المعروف ذو الكفتين وغيره من مصاديق وأنواع الموازين المختلفة، وكلها تتحقق منها الفائدة من وزن الأشياء، وبما أن الأنبياء يكلمون الناس على قدر عقولهم فهم يوصِّفون الحقائق التي يدركونها بقالب الحس ويصوِّرونها بالصورة التي تكون مفيدة للجميع، وهنا لفظ (الباب) وضع معنى هو عبارة عن مطلق ما يوصل إلى المقصود فلا يمكن الحصول على المطلوب إلا به ومن أفراد الباب هي تلك المعروفة عند عموم الناس والتي اعتادوا نصبها على ممر الدخول إلى المباني والبيوت وسائر الأبنية[٧]، ومنه نستطيع الوصول إلى معرفة قوله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٨] فيكون معناه إن من يريد الانتفاع من علومي فعليه التوجه أولًا إلى الإمام علي عليه السلام وعن طريقه يحصل على نصيبه من العلوم، وكذلك الحال في وصف الإمام الكاظم عليه السلام بأنه (باب الحوائج)، فالمقصود أن من يريد أن يقضي الله تبارك وتعالى حاجته عليه أن يتوسل بوليّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لكي يصل إلى مقصوده بتوسطه.

وكذا ما ورد في قول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: (فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه)[٩].

وعلى هذا فيكون المراد من أبواب الجنة هي كل الأمور التي تعبّد الطريق للقيام بالأعمال الصالحة وتورث صدور محاسن الأفعال، وأبواب النيران هي كل الأمور التي تفتح الطريق لارتكاب الموبقات والأعمال القبيحة وتورث صدور قبائح الأعمال[١٠].

وهذه الأمور بجانبيها الإيجابي والسلبي، أي الحسنة والسيئة تتعلق بذات الإنسان وما أودعه الله تعالى فيه من قوى ظاهرية وباطنية وهي قوى النفس التي يستفيد منها وهو يعيش في دار الدنيا فهو يمتلك قوى عاقلة يمتاز بها عن الحيوانات وحواس وجوارح ظاهرية وباطنية من غضب وشهوة تدفعه لأن يتخيل الأمور المحبوبة إليه فيندفع إليها لإطفاء حاجة الغريزة، فإن تبع عقله هواه وشهوته فتكون هذه الأمور سببًا لهلاك النفس، وعند سيطرة القوى العاقلة فهو يقوم بردع النفس عن اتباع الهوى وبالتفكير في عواقب الأمور، وبهذه الصورة والمعادلة تتشكل بوادر أعمال الإنسان الصالحة وأخلاقياته التي يعتاد عليها لأن العقل كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: (قلت له ما العقل؟ قال: ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان)[١١]، وفي مرآة العقول قال المجلسي: (والمراد من العقل ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخيرات والمنافع، واجتناب الشرور والمضار وبها تقوى النفس على زجر الدواعي الشهوانية والغضبية والوساوس الشيطانية)[١٢].

إذًا، يظهر لنا أن قوى الإنسان الظاهرة والباطنة من مدارك الإنسان وحواسه وجوارحه وخياله هي المسؤولة عن صدور أفعاله، وكلما صدرت من حالات اعتاد عليها الإنسان فإنها تسمى الملكات أو الملكة وهي الحالة الراسخة وهي لها علاقة بهذه القوى التي أشرنا إليها[١٣].

وبمقدار رسوخ هذه الملكات في وجود الإنسان في هذه النشأة يتحدد حاله عند المرور على الصراط في النشأة الآخرة[١٤]، فكلما ترك الإنسان التعاليم العبادية وفعل

ما هو محرم شرعًا فإنه يفتح على نفسه أبواب جهنم، فمثلًا إذا فتحت سمعك للغو والباطل وفتحت فمك للتفوه باللغو والغيبة إنما تفتح على نفسك طريقًا مؤديًا إلى أبواب جهنم وعلى العكس فإن الفعل المُحَلَّل والمشروع يفتح عليك طريقًا مؤديًا إلى الجنة، ففتح السمع والبصر واللسان على ارتكاب المعاصي يعني في الواقع فتح أبواب النيران على النفس، كما أن حفظ الجوارح عن ارتكاب المعاصي يعني غلق أبواب جهنم، وتقييد الغرائز يعني حبس الشياطين لأنك تقطع الطريق عليها بالالتزام بالأوامر والحدود الإلهية.

وعلى هذه الصورة تكون أبواب الجنة مفتحة وأبواب النيران مغلقة والشياطين مغلولة في شهر رمضان المبارك لأن الله تبارك قد عبّد طريق القيام بصالح الأعمال وسد طريق ارتكاب المعاصي وقيّد الغرائز النفسانية والأهواء الشيطانية من خلال اتباع الآداب والمناسك التي شرعها في شهر رمضان المبارك، لذا نرى الغرض من سؤال أمير المؤمنين عليه السلام المذكور في الخطبة إلى النبي صلى الله عليه وآله: (قال أمير المؤمنين عليه السلام فقمت وقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزوجل)، هو الالتفات إلى هذا الجانب لأن ترك المحرمات هو الأهم في بداية طريق التقوى.

فنسأل الله تعالى دوام التوفيق لما رسمه لنا في شهر رمضان للإعراض عن الدنيا وحبس الأهواء النفسية والإغراءات والالتزام بطاعته سبحانه■

١ـ الخطوة الأولى نحو الآفاق/ الشيخ حسن الرمضاني/ص١٠٢.
٢ـ بحار الأنوار/المجلسي/ج١٦ص٢١٠.
٣ـ شرح توحيد الصدوق للقاضي القمي (ت١١٠٧) ج١ ص١٠٣ ـ ١٠٥.
٤ـ تفسير سيد عبد الله شبر ص١٤٠.
٥ـ إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس (ت٦٤٤هـ) ص١٢ مقدمة المؤلف.
٦ـ الخطوة الأولى نحو الآفاق ص١٠٧.
٧ـ المصدر السابق ص١٢١.
٨ـ بحار الأنوار ج٤٠ ص٢٠١.
٩ـ نهج البلاغة الخطبة ٢٧.
١٠ـ الخطوة الأولى نحو الآفاق ص١٣٢.
١١ـ مختارات من أصول الكافي ص٢٣ كتاب العقل والجهل.
١٢ـ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للعلامة محمد باقر المجلسي ج١ ص٢٥.
١٣ـ مقدمة في علم الأخلاق ص٣٩.
١٤ـ المصدر السابق ص٣٤.

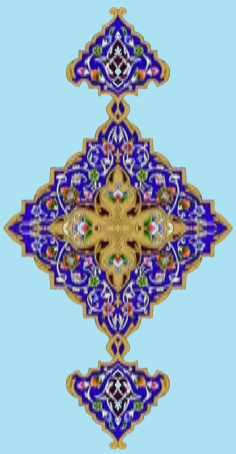

ملف العدد

أفضلُ الأعمالِ في شهرِ رمضان

محمد علي جعفر
كاتب وباحث إسلامي/بغداد

ينابيع

يحتفي المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بحلول شهر رمضان المبارك، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وقد اتفقت كلمتهم أنه شهر الله تعالى ذكره، وهو شهر البركة والمغفرة والرحمة والتوبة والإنابة وهو شهر الصيام وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء والعبادة والطاعة.

إنه شهر الألطاف الإلهية الخاصة، حيث جعله الله شهر العتق من النار والفوز بالجنة، والشقي الشقي من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم.

والمسلم يجتهد في هذا الشهر ليتقرب إلى الله سبحانه لينال رضاه، ووسائل التقرب إلى الله عز وجل كثيرة . . . كل عمل خير يؤتى به لوجه الله يمكن أن يقربنا منه، وكلما كانت قيمة ذلك العمل أغلى، والإخلاص في نفس الشخص الذي يأتي به أكثر، كانت دائرة التقرب إلى الله أوسع.

أي الأعمال أفضل في هذا الشهر؟

لقد وردت روايات كثيرة تحفز على الطاعات وأعمال البر والخير في شهر رمضان المبارك، وقد تنوعت بين الصلوات والتهجد وقراءة القرآن، وإفطار الصائم، والصدقات، وصلة الأرحام، وتوقير الكبار، ورعاية الأيتام، وحفظ اللسان، وغض البصر، وعيادة المرضى، وتلاوة الأذكار والأدعية المأثورة. . .، وإلى آخره من أعمال الخير والطاعة. وقد ورد أيضًا الثواب العظيم على هذه الأعمال في أحاديث كثيرة، فإنها منجية يوم القيامة وموجبة لغفران الله ونيل ثوابه الجزيل.

الأعمال الإيجابية والأعمال السلبية

من الملاحظ أن أغلب الناس ـ ومن خلال الثواب الجزيل الذي ينتظر المطيعين ـ يعتقدون أن الأعمال الخيرة الإيجابية هي السبيل الأفضل للفوز برضا الله والجنة، كإقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج بيت الله الحرام، بر الوالدين، صلة الأرحام...الخ، وهذه جميعًا تحتاج إلى بذل جهد ومال ووقت، فإنها عبادات ايجابية يقوم بها الفرد لتقربه إلى الله ورضوانه. نعم كلها أعمال مطلوبة وواجبة وأداؤها يبريء الذمة، ويوجب الثواب الجزيل عليها، إلا أنها ليست أفضل الأعمال المقربة إلى الله سبحانه. فمقياس رجحان الأعمال وأهمية هذه العبادة أو تلك لا يحدده البشر، وإنما يحدده الله سبحانه الذي يريد من الجن والإنس عبادته **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** (الذاريات:٥٦)، فالرسول الأعظم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى يثير انتباهنا إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أفضل العبادات في شهر رمضان، والذي يتجسد بالجانب السلبي من العبادة وذلك بعدم إتيان المحرمات أو الورع عن المحارم، فحين يجيب ﷺ عن سؤال أمير المؤمنين عليه السلام التالي: (يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال ﷺ: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل)[١].

فإذا كانت الأعمال العبادية المذكورة آنفا كالصلاة وغيرها أعمالًا يؤتى بها، فالورع عن المحارم هو امتناع عن القيام بأعمال منهي عنها.

فإذا افترضنا أن الاعمال العبادية الإيجابية بمثابة علاجات للنفس الإنسانية لتهذيبها ورفعها إلى أعلى درجات الكمال والسمو ـ وهي كذلك ـ، فإن العبادات السلبية (الورع عن المحارم) بمثابة الوقاية من الأمراض، وكما قيل في الحكمة التي أجمع عليها الأطباء والفلاسفة والحكماء (الوقاية خير من العلاج) أو (قيراط وقاية خير من قنطار علاج).

الورع لغة واصطلاحاً:

الورع: شدة التحرج. ورجل ورع متورع. [إذا كان متحرجًا].[٢]

الوَرَعُ: التَّحَرُّجُ. تَوَرَّعَ عن كذا أَي تحرَّج. والوَرِعُ، بكسر الراء: الرجل التقي المُتَحَرِّجُ، وهو وَرِعٌ بيِّن الوَرَع، وقد ورِعَ من ذلك يَرِعُ ويَوْرَعُ؛ ويقال: فلان سَيِّءُ الرِّعة أَي قليل الوَرَع.[٣]

الوَرَعُ، مُحَرَّكَةً: التَّقْوَى، والتَّحَرُّجُ، والكَفُّ عن المَحَارِمِ، وقد وَرِعَ الرَّجُل، كوَرِثَ هذه هي اللغَةُ المَشْهُورَةُ الَّتِي اقْتَصَرَ عليْهَا الجَمَاهِيرُ، واعْتَمَدَها الشَّيْخُ ابنُ مالِك وغَيْرُه، وأَقَرَّه شُرّاحُه في التَّسْهِيلِ، ومَشَى عليْه ابنُهُ في شَرْحِ الالفيَّةِ.[٤]

في الحديث: صونوا دينكم بالورع، وفيه: ملاك الدين الورع، وفيه: أورع الناس من تورع عن محارم الله تعالى، وفيه: لا معقل أحرز من الورع. والورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج منها، ورع: إذا كف عما حرم الله انتهاكه، ثم استعمل في الكف المطلق.[٥]

أهمية الورع

بعد معرفة الورع تتبين لنا أهميته وأنه من أعظم الأعمال المنجيات، وعمدة ما ينال به السعادات ورفع الدرجات. (قال رسول الله ﷺ: (خير دينكم الورع). وقال ﷺ: (من لقى الله سبحانه وَرِعًا، أعطاه الله

ثواب الإسلام كله). وفي بعض الكتب السماوية: (وأما الورعون، فإني أستحيي أن أحاسبهم). وقال الباقر عليه السلام: (إن أشد العبادة الورع). وقال الصادق عليه السلام: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه). وقال عليه السلام: (اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع). وقال عليه السلام: (عليكم بالورع، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع).[٦]

كيف صار الورع أفضل الأعمال؟

لا يخفى أن غاية التشريع الإلهي هي إسعاد الإنسان على هذه الأرض، وتحقيق التعايش السلمي بين أبناء البشر، وذلك من خلال التمسك بنهج الله والانتظام بشريعته، ولم يكن هدف العبادات المفروضة على بني البشر من أجل منفعة تعود لله سبحانه، (فَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه وتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لأَنَّه لَا تَضُرُّه مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاه ولَا تَنْفَعُه طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَه...)[٧]، وقد ورد في الحديث القدسي المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (يقول الله تعالى: يا بن آدم ، لم أخلقك لأربح عليك ، إنما خلقتك لتربح عليّ ...)[٨]. بعد هذه المقدمة لنرَ الآن كيف صار الورع أفضل الأعمال؟

إن عماد الشريعة هو مجموعة من الأوامر والنواهي التي تصب في مصلحة الإنسان، والتي يكمل بعضها بعضًا، فكانت الأوامر مجموعة العبادات الإيجابية والتي تقدم ذكرها كالصلاة والصوم والإنفاق في سبيل الله وصلة الأرحام وبر الوالدين وغيرها مما عرفنا مجمل فوائدها ومردوداتها للبشر عمومًا .. أما مجموعة النواهي التي جاءت بها الشريعة، فهي المعاصي المنهي عن الإتيان بها واجتنابها، ولغرض معرفة أهمية اجتناب المعاصي

في حياة الفرد والمجتمع نسلط الضوء على جانب من تلك المعاصي المنهي عنها، لمعرفة الفوائد العظيمة المترتبة على اجتنابها، ليتضح لنا المراد من حديث النبي الأكرم ﷺ حول أفضل الأعمال في شهر رمضان.

التعاون ونبذ الفرقة

فكما أمرت الشريعة بالتعاون والتعاضد والمحبة والتآلف بين بني البشر، أمرت أيضًا باجتناب التباغض والتحاسد والحقد والضغينة والكذب والبهتان والغيبة والنميمة، والتي ستؤدي إلى الفرقة والنفرة الباعثة على تمزيق الأمة ووهنها، وهذا مخالف تمامًا لما يريده الإسلام، حيث يقول رب العباد: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**) (آل عمران: ١٠٣)، فكما أمر سبحانه عباده بعمل إيجابي وهو الاعتصام بحبله أو التمسك بنهجه، نهاهم في ذات الوقت عن التفرق والتشتت.

وكذلك قوله تعالى: (**فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**) (الأنفال:١)، وصلاح ذات البين لا يمكن أن يتحقق إلا بنبذ التشتت والتفرق والتباغض، واللجوء إلى المحبة والألفة، وقد أشار المصطفى ﷺ لأهمية صلاح ذات البين فقال: (صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام (و) أن المبيرة الحالقة[٩] للدين فساد ذات البين)[١٠] ، (ووجه الأفضليّة هنا أنّك علمت فيما سلف أنّ أهمّ المطالب للشارع المقدس جمع الخلق على سلوك سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتمّ ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين ممّا لا يتمّ أهمّ مطالب الشارع إلّا به ، وهذا المعنى غير موجود في الصلاة والصيام لإمكان المطلوب المذكور بدونهما فتحقّقت أفضليّته من هذه الجهة)[١١].

فكثيرا ما ترى بعض المصلين الصائمين الحاجين بيت الله، بعيدين عن التمسك بصلاح ذات البين، فهكذا عمل تكون أهميته تفوق عامة الصلاة والصوم، ولم يتحقق الغرض إلا باجتناب المعاصي المتمثلة بالتباغض والتفرق وقطيعة الرحم.

وهناك قائمة طويلة من الأعمال المنهي عنها والتي ذكرنا بعضًا منها فيما تقدم،... ولضيق المقام فإننا سنتطرق إلى بعض هذه المناهي الواردة في آية مباركة واحدة من كتاب الله وقد تضمنت عدة مفاهيم هامة تُعدُّ ورقة عمل للأمة إن التزمت بها ونفذت بنودها، لتتحقق الألفة والمحبة والتعاضد بين أفراد المجتمع، وتصونه من التفرق والتشرذم، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**) (الحجرات: ١٢)

ـ الظن السيء بالناس: وبناءً على هذه الآية المباركة فإنه لا يجوز للمؤمن أن يظن بأخيه الظن السيء دون دليل بيّن وبرهان واضح، فالسرائر ومكنون النفوس لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وما دام هناك إمكانية حمل فعل المؤمن على الصحة، فينبغي حمله على الصحة حتى يثبت العكس. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (ضَعْ أَمْرَ أَخيكَ عَلَى أَحْسَنه حَتَّى يَأْتيَكَ مَا يَغْلبُكَ مِنْه ولَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ

مِنْ أَخِيكَ سُوءًا وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا)[١٢].

ـ **التجسس على المؤمنين:** (...وَلَا تَجَسَّسُوا..) أما فيما يخص التجسس فقد أجمل الرسول الأعظم ﷺ هذا الأمر بقوله ﷺ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بلِسَانه ولَمْ يُخْلص الإيمَانَ إِلَى قَلْبه لَا تَذُمُّوا الْمُسْلمينَ ولَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتهمْ فَإِنَّه مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتهمْ تَتَبَّعَ اللّٰه عَوْرَتَه وَمَنْ تَتَبَّعَ اللّٰه تَعَالَى عَوْرَتَه يَفْضَحْه ولَوْ فِي بَيْته)[١٣]، وهذا أمر واضح قباحته، فبه تفقد الثقة بين المؤمنين، ويكون معولاً هدامًا في أسس المجتمع.

ـ **الغيبة:** (...وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا..) وهي أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره في غيبته، سواء أكان بقصد النيل منه أم لم يكن، مما يكون عيبًا مستورًا عن الناس، كما لا فرق في ذكره بالقول، أم بفعل يوصف ذلك العيب. ولشدة انتشار هذه الآفة في مجتمعاتنا سنبين ولو بشكل مختصر خطورتها وقباحتها وكبر جريرتها، فقد وصف اللّٰه عز وجل في كتابه المجيد صورة الغيبة بأبشع الصور، حيث قال سبحانه: **(وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)**. وقال النبي الأكرم ﷺ: (إيّاكم والغيبة فإنّ الغيبة أشدّ من الزّنا فإنّ الرّجل قد يزني ويتوب فيتوب اللّٰه سبحانه عليه وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه)[١٤].

كما أن المؤمن المتورع لا يكتفي بعدم الغيبة، وإنما لا يستمع إلى غيبة أخيه المؤمن، فقد تبين من الروايات عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام (أنه يجب على سامع الغيبة أن ينصر المغتاب، ويرد عنه، وأنه إذا لم يرد خذله اللّٰه تعالى في الدنيا والآخرة، وأنه كان عليه كوزر من اغتاب[١٥].

وعندما يرد ذكر الغيبة يقفز إلى الذهن ثلاثة أعمال حرمها الإسلام وشدد النكال على فاعلها وهي: (البهتان) و(الكذب) و(النميمة) لما لها من خطر على المجتمع وتفكيك أواصره.

ـ **البهتان:** لقد عرفنا فيما تقدم الغيبة: وهي أن تذكر أخاك بعيب فيه في غيبته، وعلمنا من خلال الآية المتقدمة والأحاديث الشريفة حجم هذه الموبقة وما يترتب عليها، أما البهتان: فهو الافتراء بالباطل، أو أن تذكر أخاك بما ليس فيه، وهو من كبائر الذنوب.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إن من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره اللّٰه عليه، وإن من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه[١٦]. وفي حديث آخر قوله عليه السلام: (... فذلك قول اللّٰه عزّ وجلّ: **(فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)** (النساء: ١١٢)[١٧]. وقال عليه السلام: (من بهت مؤمنًا أو مؤمنةً بما ليس فيه بعثه اللّٰه في طينة خبال حتّى يخرج ممّا قال، قيل: وما طينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات)[١٨].

ـ **الكذب:** قد يستهين البعض بهذا الذنب، ولا يعيرونه أهمية، بل أصبح شيئًا معتادًا لدى البعض، وأحيانا يلبسونه لباس الشرعية والجواز، ومنهم من قسمه إلى كذب أبيض وآخر أسود، وجاءت هذه الاستهانة بكونه مجرد كلام لا ضرر فيه، ولكن لنرى خطر الكذب من خلال الآية المباركة: **(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)** (النحل:١٠٥)، وخصوصًا إذا كان الكذب على اللّٰه ورسوله وآله، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)** (النحل: ١١٦)، وقال رسول اللّٰه ﷺ:

(مَنْ كَذَّبَ عَليّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه منَ النّار)[١٩]. وروي أنه (قيل: يا رسول اللّه؟ المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك. قيل يا رسول اللّه المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك. قيل: يا رسول اللّه المؤمن يكذب؟ قال: لا ، ثم قرأ: **(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)**[٢٠].

ـ **النميمة:** كأن يقال لشخص ما: فلان ذكرك بكذا وكذا، معكرًا صفو العلاقات بين المؤمنين أو معمقًا درجة الخلاف بينهم. وقد ورد عن رسول اللّه ﷺ قوله: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللّه، قَالَ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّة)[٢١]، وقال الإمام الباقر عليه السلام: (الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة)[٢٢].

هذا ما يسمح به المقام من ذكر بعض الأعمال السلبية التي من شأنها أن تدمر المجتمع المسلم وتفكك أواصره وتجعله لقمة سائغة لأعدائه المتربصين به.

وخلاصة القول: أن الورع عن المحارم هو لب الدين وأفضل العبادة لأن فيه قوام المجتمع ونهوض الأمة ونيل رضا اللّه والفوز بالجنة والرضوان. ومن هنا كان كما وصفه الرسول الأكرم ﷺ: (أفضل الأعمال في هذا الشهر ـ شهر رمضان ـ الورع عن محارم اللّه عزوجل). ولنا أن نعرف ما ينتظر الورعين من الأجر والثواب الجزيل■

---

١) الأمالي/الشيخ الصدوق/ص١٥٥.
٢) العين/الفراهيدي/ج٢ص٢.
٣) لسان العرب/ابن منظور/ج٨ص٣.
٤) تاج العروس/الزبيدي/ج١١ص٥٠٥.
٥) مجمع البحرين/الطريحي/ج٤ص٤٠١.
٦) جامع السعادات/النراقي/ج٢ص١٣٥.
٧) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٣٠٣.
٨) شرح النهج/لابن أبي الحديد/ج٢٠ص٣١٩.
٩) الحالقة: الخصلة التي من شانها تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما تستأصل الموسى الشعر وقيل: هي قطيعة الرحم والتظالم.
١٠) الكافي للكليني/ج٧ص٥١.
١١) شرح النهج/ابن ميثم البحراني/ج٥ص١٢٢.
١٢) الكافي/للكليني/ج٢ص٣٦٢.
١٣) ن.م/ص٣٥٤.
١٤) جامع السعادات/النراقي/ج٢ص٢٣٣.
١٥) منهاج الصالحين/السيد الخوئي/ج١ص١٢.
١٦) الأمالي/الشيخ الصدوق/ص٤١٧.
١٧) الوسائل/ج٨ص٦٠٢.
١٨) هداية الأمة/الحر العاملي/ج٥ص١٧٩.
١٩) نهج البلاغة/ج٢ص١٨٩.
٢٠) الكافي/ج٤ص١٨٧.
٢١) الكافي /للكليني/ج٢ص٣٦٩.
٢٢) جامع السعادات/النراقي/ج٢ص٢١٢.

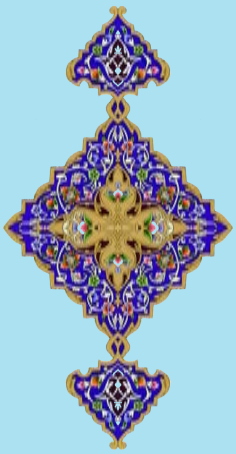

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ....

* نقل المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلًا من تفسير النعماني بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله لما فرض الصيام فرض أن لا ينكح الرجل أهله في شهر رمضان لا بالليل ولا بالنهار، على معنى صوم بني إسرائيل في التوراة، فكان ذلك محرمًا على هذه الأمة، وكان الرجل إذا نام في أول الليل قبل أن يفطر حرم عليه الأكل بعد النوم، أفطر أو لم يفطر، وكان رجل من الصحابة يعرف بـ (مطعم بن جبير) شيخًا فكان الوقت الذي حفر فيه الخندق حفر في جملة المسلمين، وكان في شهر رمضان، فلما فرغ من الحفر وراح إلى أهله صلى المغرب فأبطأت عليه زوجته بالطعام فغلب عليه النوم، فلما أحضرت إليه الطعام انتبهته، فقال لها استعمليه أنت فاني قد نمت وحرم عليَّ، وطوى ليلته وأصبح صائمًا، فغدا إلى الخندق وجعل يحفر مع الناس فغشي عليه فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله عن حاله، فأخبره. وكان من المسلمين شبان ينكحون نساءهم بالليل سرًّا لقلة صبرهم، فسأل النبي صلى الله عليه وآله الله في ذلك ، فأنزل الله عليه:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ * هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ * عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ * فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ * وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ * ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة:١٩٧) فنسخت هذه الآية ما تقدمها.

(وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ ج٧ص٨١)

ملف العدد

الصَومُ صَمتًا
مقاربة عقائدية

أ.م. د: عبد علي حسن ناعور الجاسمي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع نزلت التشريعات السماوية لتنشر بين أهل الأرض مفاهيم وأوامر تهذب ما تهذب من سلوك أبناء المجتمع الإنساني، وتقوم ما تقوّم من سلوك الأفراد، بوصفهم أفرادًا في مجتمع إنساني يشكل كل فرد منهم انطلاقة نحو خلق التكامل الإنساني المنشود.

ومن خلال تتبع خاطف للحضارات الإنسانية نجد مفاهيم وأوامر إلهية وسِعت هذه الحضارات ـ على تباعدها المكاني والزماني ـ وعملت فيها آثارها الواضحة. فضلًا عن العادات والتقاليد السائدة أصلًا بين الأفراد والجماعات المكونة لتلك الحضارات.

من هذه المفردات ـ سواء أكانت أوامر سماوية أو عادات سائدة ـ مفردة الصوم، التي لم تَغِب عن جزئيات المجتمعات الإنسانية على تنوعها، إذ نجد لها موضعًا بارزًا يختلف تطبيقه بين أمة وأخرى أو بين شريعة وأخرى. وفي هذا الشأن كلام يطول بيانه ويتجاوز الحد المألوف من هذا الحيز من الوريقات.

إن معنى الصوم هو مطلق الامتناع والإمساك، سواء الطعام أو الشراب أو الكلام أو الجماع أو العمل، قال ابن منظور: (الصوم: ترك الطعام، والشراب، والكلام: صام يصوم صومًا وصيامًا، ... والصوم في اللغة: الإمساك عن الشيء، والترك له، وقيل للصائم: صائم؛ لإمساكه عن المطعم والمشرب، والمنكح، وقيل للصامت: صائم؛ لإمساكه عن الكلام، وقيل للفرس: صائم؛ لإمساكه عن العلف مع قيامه... قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام، أو كلام، أو سير فهو صائم)[1].

والذي نريد القراءة فيه هنا هو الصوم عن الكلام، وفيه محاور وآراء وأقوال. فهو بين حلال وحرام، وبين حلال في شريعة وحرام في أخرى، وبين سلوك اجتماعي نفسي وآخر هو اعتيادي وتقليد. فالصمت في مصر القديمة فيصل بين الحكمة والحمق أو السفاهة، إذ نجد عند الفراعنة أن الإنسان الصامت هو الذي يوصف عندهم بالحكمة فيحظى باهتمام الملك ورعايته وينجو مما يسبب له الأذى أو الهلاك، وفي مقابل ذلك يرون الثرثار إنسانًا لا يستحق أن ينال عطف الملك أو اهتمامه أو رعايته، بل هو عندهم إنسان لا قيمة له ومن ثم فهو منبوذ مطرود.

الصوم صمتًا معروف عند دين المسيحية، أقره الكاثوليك وهو عندهم فرض على الرهبان والقساوسة في أحوال بعينها، وهو من المستحبات عند من دونهم، وكانت فرقة من فرقهم اسمها (الترابسيت) أكثرهم تشددًا في هذا النوع من الصوم، إذ جعلته مُلزمًا لأتباعها فكانوا يعتزلون الناس في أماكن يسكنونها ويمتنعون عن الكلام إلى الموت.

وفي الجاهلية مارس العرب هذا النوع من الصوم، وهو (الضَرْس) ويعني في اللغة: صمت يوم إلى الليل، وبقيت جماعة منهم على هذا التقليد حتى بعد الإسلام بمدة.

وجاء الإسلام فحرم ما حرم وأقر ما أقر وهذّب ما هذب، بوصفه شريعة إلهية خاتمة للشرائع السابقة، وبوصفه نظرية كونية شاملة صالحة حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها. ومع وجود بعض الأعمال في الشرائع السابقة للإسلام وأنها كانت سائدة

ولم يرد فيها نهي، إلا أن هذا لا يعني ـ في عقيدتنا ـ أنه خاضع عندنا للحلية أو الإباحة أو الجواز أو ما سواه من الأحكام العبادية، مالم يكن ورد في التشريع الإسلامي بأدلته المعروفة.

القرآن الكريم وردت فيه آيات ذكرت هذا النوع من الصوم، وقد تنوعت إشارات المفسرين في دلالاتها، وهذه الإشارات تكاد تجمع على وجود هذا النوع من الصوم ولكن من دون تفصيلات، وهذا ملحظ مألوف في النص القرآني، وبوجود العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه وما سواها من العلوم التي تسلط الضوء على الدلالات القرآنية، تظهر آفاق الدلالات التي لا يتسرب إليها الخلل في شأن تسليط الضوء على هذا الضرب من الصوم.

لقد أمر الله تبارك وتعالى زكريا بقوله: **(آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً)** (آل عمران: ٤١). ووُجهت السيدة مريم عليها السلام الى الصوم عن الكلام: **(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)** (مريم: ٢٦). والذي أشرنا إليه قبل أسطر من شبه إجماع لدى المفسرين هو جواز ذلك في شريعتها وشريعة قومها السائدة قبل مبعث عيسى عليه السلام، أو أن السيدة مريم لم تكن عندها وسيلة أخرى تدفع عن نفسها ما أرجف به قومها من مخالفتها طبيعة الأشياء وولادتها السيد المسيح من غير أب، ولدفع سوء الظن الذي تولّد من ذلك. فكان أن اكتفت السيدة مريم بالإشارة عندما أرادت أن تبلغ قومها بما وقع من هذه الولادة غير المألوفة، إذ لا كلام ينفع وهي تحمل ابنها الذي ولدته من غير أب، وعُضد ذلك بكلام عيسى عليه السلام ليدفع بذلك سوء الظن ويثبت براءتها. قال تبارك وتعالى: **(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)** (مريم: ٢٧ ـ ٣٠).

وجاء في روايات عدة أن في شريعة اليهود تحريم الطعام والكلام عند الصوم.

الإسلام حرّم الصوم المطلق عن الطعام والشراب والجماع وما سواه من الرغبات الطبيعية غير المحرمة، كما حرّم الصمت المطلق حتى لو كان صومًا. ففي الصوم المطلق عن الطعام والشراب هلاك للنفس الإنسانية وابتعاد عن التوجيه الإلهي: **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)** (الأعراف: ٣١). وفي الصوم المطلق عن الكلام هلاك أشد وطأة في نتيجته على الفرد الإنساني وعلى محيطه الإنساني. والنصوص التي وردت عن المعصومين عليهم السلام متواترة ولا لبس فيها وهي تحرم هذا الضرب من الصوم.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: لا وِصَالَ فِي صِيَامٍ ولَا صَمْتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ)[٢]. وفي حديث الزّهري عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (وصَوْمُ الصَّمْتِ حَرَامٌ)[٣]. وبإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام روى الصدوق في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام قال: (ولا صَمْتَ يوم إلى الليل... إلى أن قال: (وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام)[٤].

عقيدتنا السمحاء جاء فيها تشريع الصوم بسمو وكمال لا يدانيهما سمو وكمال في شريعة أخرى أو حضارة ما أو ثقافة ما. فقد وُجد ليناسب ما تريده النفس الإنسانية في جوانبها المادية والروحية، أي: على مستوى الأبدان والأرواح، إذ في الصوم انقطاع من الإنسان عن الطعام والشراب، وفيه كف عن الاستجابة للغرائز والشهوات ومحاربة نزعاتها، وفيه امتناع عن الكلام. هذه التوقفات والامتناعات والكف، لم يطلقها الإسلام من دون قيود، بل نظمها وأطّرها في أطر لا توقف دورة الحياة الطبيعية بجزئياتها، بل تضعها في إطار لا يتسرب اليه الخلل الذي يضع الإنسان في دوامة من التعطيل والابتعاد عن وظيفته الإنسانية التي خُلق لها. هذا الإطار هو المدة المعقولة للصوم سواء في ذلك الصوم عن الطعام والشراب أو الصوم صمتًا. قال رسول الله ﷺ: (إذا كان أحدكم صائما، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنّي صائم إنّي صائم)[٥]. وأضاف ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت)[٦]. وأكد قائلًا: (من ضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، ضمنت له الجنّة)[٧]، وقال ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه)[٨]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (صوم القلب خير من صيام اللسان وصوم اللسان خير من صيام البطن)[٩].

فالصوم عن الطعام والشراب لمدة محددة معروفة حري بأن يرافقه امتناع اللسان عن الوقوع في الآثام، ونبذ اللغو، واقتصار اللسان على ما يهذب النفس ويكفها عن الانحدار إلى الغيبة والنميمة والفحش وما سواها من آفات اللسان الذي نبّه الله تبارك وتعالى إليها في مواضع كثيرة في القرآن الكريم. قال تعالى: (**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**) (المؤمنون: ٣). (**وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كراماً**) (الفرقان: ٧). (**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**) (القصص: ٥٥). وفي ذلك إشارة لا تخفى على لبيب وتنبيه مفاده للكلام نتائج مترتبة قد تكون أشد من النتائج المترتبة على الأفعال، وفي ذلك تنبيه آخر يحض على عدم الاستخفاف بما يتفوه به الإنسان، فقال تبارك وتعالى: (**ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) (ق: ١٨).

إن المدنية الحديثة قد سدّت على الناس أبصارهم ومسامعهم، وجعلتهم في دوامة من السعي نحو منزل أفخم ومركب فاره والنزوع نحو الملذات المتكاثرة تكاثرًا خرافيًا، ومن ثم حولت الإنسان إلى جسد يتحرك على أسس حربية في معركة لا تنقطع مع نفسه ومع محيطه. هذه المعركة المستمرة لا بد من أن يكون اللسان سلاحها المقدم على الأسلحة كلها. ومن حيث علم أو لم يعلم نجده في حاجة ملحة للانقطاع عن هذا اللهاث القاتل وراء غرائزه.

إن الذي نلحظه من تراكمات هذا السعي الحثيث هو معاناة الفرد الإنساني من الشرود والتشتت الذهنيين، وتسارع الأفكار واشتباكها الذي يؤدي إلى القلق غير المنقطع، فهو في النهار اضطراب وشرود وتشتت، وفي الليل يتجسد في الأرق الذي صار حالة سائدة عند كثير من أفراد مجتمعنا، وصرنا نكتشف بين يوم وآخر صديقًا أو قريبًا أو جارًا لا ينام إلّا بتعاطيه المهدئات أو أقراص النوم! بل

وصل الأمر إلى مراجعة الطبيب بحثًا عما يخفف هذه الأعراض النفسية أو يباعد قليلًا بين الإنسان وآلامه الناجمة عن التعاطي السلبي مع ما تنادي به الحياة الدنيا وأحابيلها، لذا نجدهم يتحدثون عن نصائح من خبراء في النفس والمجتمع فحواها (الصوم عن الكلام) والابتعاد عن الناس في مواعيد دورية يومية أو شبه يومية ليختلي الإنسان مع نفسه ويهدأ ويراجع مفردات يومه بتفكر وروية واسترخاء بما يوفر له تطهيرًا لنفسه وهمومها، وبما تشرق له ومضات عقله من التحرر من ملايين من الأفكار والمعلومات وتزاحمها وتشابكها بصورة تضعها في حيز التعقيد والتعسف في استخلاص الأفكار المتزاحمة المتطلعة إلى قرارات إيجابية تنظم حياته، وبما يوفر له الاستقرار النفسي، والتخلص من الالتزامات الاجتماعية الضاغطة على مفردات النفس الإنسانية، والتحرر من نزعات البلبلة والضياع والتلاشي في آفاق العتمة والضبابية اللتين تتولدان من هذا التنازع بين حاجة الإنسان إلى توفير شيء من الدعة والسكون لنفسه وبين إغراءات هذه الآفاق التي لا تنتهي إلّا بنهاية الإنسان الطبيعية.

لقد بدأت تبرز هنا وهناك نداءات غير مسبوقة من لدن معاقل المدنية الغربية المكتنزة مادة وملذات؛ نداءات تركز على ضرورة التنبه إلى خيار التوقف عن الكلام وفوائد هذا التوقف ومردوداته الإيجابية على صحة الإنسان.

ويمكننا أن نقرر حقيقة نخرج بها من هذا الحديث الخاطف بشأن الصوم صمتًا، واضعين نصب أعيننا وسطية عقيدتنا السمحاء واعتدالها وصلاحيتها لمحاورة النفوس مهما تعددت أصنافها ومرتكزاتها وميولها، وهو أن الفيصل بين حرمة هذا الصوم وحليته هو الانقياد الكامل لأحاديث نبينا الأكرم محمد ﷺ وهي تفوق الحصر هنا، وفي واحد منها نراه جامعًا مانعًا، قوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت)[١٠]. وإحياء ذلك في شهر الصيام فرصة مثالية فضلًا عن أنها عبادة نسأل الله تعالى العون فيها■

١) لسان العرب: ١٢/ ٣٥٠.
٢) الكافي /للكليني/٤ص٩٥.
٣) ن.م/ص٨٥.
٤) من لايحضره الفقيه/الشيخ الصدوق/ج٤ص٣٦٧.
٥) منتهى المطلب/العلامة الحلي/ج٩ص٦٧.
٦) ن.م/ج٧ص٣٩٤.
٧) معاني الاخبار/الشيخ الصدوق/ص٤١١.
٨) تذكرة الفقهاء/العلامة الحلي/ ج٦ص٣٢.
٩)عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي/ص٣٠٥.
١٠) ن.م/ج٧ص٣٩٤.

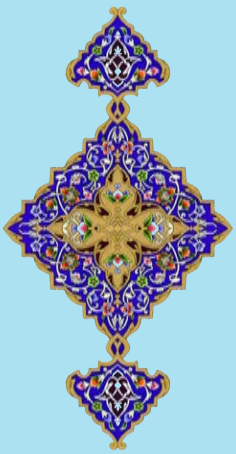

إخبار الرسول صلى الله عليه وآله
لأمير المؤمنين عليه السلام باستشهاده في شهر رمضان

(عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة) - وساق الحديث في فضل رمضان، إلى أن قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمت وقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ، ثمّ بكى صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي لما يستحلّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فيضربك ضربة على قرنك تخضب بها لحيتك، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك.

ثمّ قال: يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبّني لأنّك منّي كنفسي روحك من روحي وطينتك من طينتي، إنّ الله عزّ وجلّ خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك واختارني للنبوّة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي.

يا علي أنت وصيّي وأبو ولدي وزوج ابنتي وخليفتي على أُمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري ونهيك نهيي، أُقسم بالله الذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البريّة انّك حجّة الله على خلقه وأمينه على سرّه وخليفته في عباده). (الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص١٥٥)

ملف العدد

من أيام شهر رمضان .. يوم الفُرْقان

د. هاشم جعفر الموسوي
جامعة بابل/كلية التربية

ينابيع

الأيام التي ذكرها الله في كتابه العزيز وعظّمها كثيرة، ومنها: يوم الجمعة، ويوم الحج الأكبر، ويوم حُنَين، واليوم الموعود، ويوم الوقت المعلوم، ويوم يبعثون، ويوم الجمع، ويوم الدين، ويوم القيامة، ويوم التغابن، ويوم الحسرة، ويوم الفصل، واليوم الآخر.

ومن تلك الأيام التي أعلى شأنها ما وقع في شهر الله رمضان، إذ خاطب الله المسلمين مذكراً إياهم بذلك اليوم المشهود، قال تعالى: (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (الأنفال:٤١ـ٤٢)

والخطاب في هاتين الآيتين وما بعدهما فيه من المضامين الاعتبارية الشيء الكثير، وقبل البدء بعرضها إجمالاً وتفصيلاً على قدر المستطاع، لا بُدّ من بيان شيء عن عناية الباري عزّ وجلّ بشأن ذلك اليوم، ولعلّ أول ما ينصرف إليه الذهن أن مكانة هذا اليوم تتضح في أنه من أيام شهر الله رمضان، أفضل الشهور منزلة، وأتمّها ثواباً عند الله، وأن هذا اليوم قد ارتبط بحادثة لها مكانة كبيرة في الإسلام وهي وقعة بدر، التي انتصر فيها المسلمون وهلك فيها أئمة المشركين، فكان لذلك أعظم الأثر في ارتفاع راية الإسلام، وانكسار شوكة الكفر. ولعل ما

يسند تلك المكانة أن هذا اليوم قد أضيف إلى الْفُرْقانِ إضافة تنويه به وتشريف. وقبل ذلك الإشارة إلى التشريفات الغيبية التي أُنزلت في ذلك اليوم على النبي الأكرم ﷺ، فقوله تعالى: (**وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ**) فيه الدليلُ على أنّ قدرة الله غالبة، فما جَرى في بَدْرٍ لم يكنْ على مُتَعَارَفِ الأسباب، فقدرةُ اللّهِ قَلَبَتِ الأحوالَ وأَنْشَأت الأشياءَ على غيرِ مجاريها، ولا يبعد القول إنّ من أسباب تسمية ذلك اليوم بـ (يوم الفُرقان) على جهة الإضافة، أنه أُضيفَ إلى الفرقان الذي هو لقبُ القرآن، إذ المشهور في التواريخ أن ابتداء نزول القرآن كان يوم السابع عشر من شهر رمضان، فيكون ذلك من استعمال المشترَك في معنييه[1].

وقد فسّر العلماء (الفرقان) الوارد في الخطاب الإلهي بمعنيين[2]، تبعاً لأصلهما اللغوي فمنهم من اشتقّه من الفعل (فرَق)، وعليه هو مصدر فرّقتُ بين الشيئين أُفَرِّقُ فَرْقاً وفُرْقاناً، كالرُّجْحان والنُّقْصان. ثم يُسمّى كلّ فارقٍ: فُرقاناً، كتسميتهم الفاعل بالمصدر. وسُمِّي القرآن فُرقاناً، لفصله بحججه وأدلته بين المحقّ والمبطل. وسُمِّي (يوم الفرقان) بيوم بدر، لأنه اليوم الذي فرّق بين الحق والباطل. ومنهم من اشتقّه من الفعل (انفرق)، ومنه انفراق البحر وهو من عظيم الآيات، ويدلّ عليه قوله تعالى في قصة نبي الله موسى عليه السلام: (**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**) (البقرة:٥٠)، وعليه يكون معنى (يوم الفرقان) يوم انفراق المشركين عن المؤمنين بانهزامهم.

ولعلّ المعنيين المذكورين عند المفسرين يرجعان إلى معنى جامع هو التباعد بين شيئين، فالتفرّق والانفراق

كلاهما يحمل معنى التباعد، ويوم الفرقان كان يوم تباعد بين دين الحق ودين الباطل، فانماز كلٌ منهما عن الآخر بوضوح (**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**).

ولكن هذا المعنى الذي ذكره المفسرون يمكن أن يُتوسّع فيه ليشمل مضامين أخر يمكن بيانها، بعد عرض موجزٍ لمداليل هذا الخطاب القرآني، وأهمها:

١ـ بيّن النص القرآني حكم الله في الغنائم، وأن مردها إلى الله ورسوله ليحكم فيها، وأن المسلمين ما كان لهم أن يتنازعوا في قسمتها.

٢ـ ثم احتجّ لذلك باستدلالٍ لمسه المسلمون بأنفسهم يوم الفرقان وما حدث فيه من ألطاف إلهية هيّأت أسباب النصر في المعركة، قبلها، وفي أثنائها، وبعدها. فقد أدركوا رؤيا الرسول الصادقة التي أخبرهم بها قبل المعركة ليزدادوا جسارة على الأعداء، قال تعالى في ذلك: (**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**) (الأنفال:٤٣)، ورميه ﷺ بالحصى في أعين المشركين، فسبب ذلك هزيمتهم، قال تعالى: (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**) (الأنفال:١٧) والإمداد بالملائكة المردفين، قال تعالى: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**) (الأنفال: ٩) وغير ذلك من الفيوضات الرحمانية التي شهدها ذلك اليوم العظيم.

٣ـ أظهر الخطاب أن غايات الإنسان وتدبيراته لتحقيقها قاصرة قبالة التخطيط الإلهي وأغراضه التي لا تدركها عقول البشر. فهم أرادوا الغنائم، لكن الله أراد العزة لرسوله ودينه والمؤمنين به، قال تعالى: (**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**) (الأنفال: ٧).

٤ـ قرّر النص القرآني أن النصر وغلبة الأعداء منشؤهما من الله تعالى، وأن المسلمين ما هم إلا أداة من الأدوات المعدة لإظهار الأسباب الطبيعية للنصر، قال تعالى: (**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ**)(الأنفال:١٧) ، فالباري (عزَّ وجلّ) يمتنّ على المسلمين فيُظهر النصر على أيديهم فيعلو شأنهم وتُهاب شوكتهم، ويعظم خطرهم في أعين أعدائهم ، فيجب أن يشكروه بالطاعة والتسليم، قال تعالى: (**وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**) (الأنفال: ١٠ـ ١١)

٥ـ كشف النص عن تزامن الجهاد الأكبر، والجهاد الأصغر في شهر رمضان من تلك السنة، فدلّ ذلك على أن هذا الشهر الفضيل شهر طاعة وعمل، لا شهر دعة وكسل.

ولعلّ المتأمل في معنى يوم الفرقان يجد مضامين أُخَر غير ما ذُكر، فيوم الفرقان يومٌ أُعدَّ له إعدادٌ ربانيّ، وهُيِّئت له كلّ الأسباب الواقعية في هذا العالم، ليتحقق الفرقان بين الحق ـ الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقامت عليه فطرة الأشياء والأحياء، الحق الذي يتمثل في تفرُّد الله سبحانه بالألوهية والسلطان

والتدبير والتقدير وفي عبودية الكون كلِّه: سمائه وأرضه، أشيائه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفردة ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبير وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك - وبين الباطل الزائف الطارئ الذي كان يعمُّ وجه الأرض. فهذا هو الفرقان الكبير الذي تم يوم بدر، إذ فُرِّق فيه بين ذلك الحق وطغيان الباطل فتزايلا بعدُ ولم يلتبسا.

وكان ذلك أيضاً فرقاناً بين الوحدانية المطلقة والشرك بصوره كلِّها من عبادة الأشخاص والأهواء والقيم والأوضاع والتقاليد والعادات، والرجوع في هذا كله لله الواحد الذي لا إله غيره، ولا متسلط سواه، ولا حاكم من دونه، ولا مشرّع إلا إياه. فارتفعت الهامات لا تنحني لغير الله وتساوت القامات لا تخضع إلا لحاكميته وشرعه، وتحررت البشرية التي كانت مستعبدة للطغاة.

وكان يوم الفرقان كذلك فرقاناً بين عهدين في تاريخ الإسلام: عهد الصبر والمصابرة والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والمبادأة والاندفاع، فأُعلن رسمياً عن انتهاء فترة المهادنة مع الباطل، وبدء مرحلة الدعوة إلى الإسلام بوصفه تصوراً جديداً للحياة، ومنهجاً جديداً للوجود الإنساني، ونظاماً جديداً للمجتمع، وشكلاً جديداً للدولة، وإعلاناً عاماً لتحرير الإنسان بتقرير إلوهية الله وحده وحاكميته، ومطاردة الطواغيت التي تغتصب حكمه، فالإسلام بعد هذا اليوم لم يكن له إلا القوة والحركة والاندفاع لتحقيق التصور الجديد، والمنهج الجديد، والدولة الجديدة، والمجتمع الجديد، وأن يزيل من طريقه كلّ العوائق المادية التي تحول دون ذلك[٣].

ولعلّ تقييد يوم الفرقان بـ (يوم التقى الجمعان) وتحديد مكانه وزمانه فيه الإشارة إلى غرض إحضار ذلك اليوم في أذهان المسلمين، لِيلزَمَ منه شُكر نعمته، وحُسْنَ الظّنّ بوعده والاعتمادَ عليه في الأمور كلها، فالمسلمون في بدر كانُوا في أشد حالات الضعف تُجاهَ عدوهم، إذ كان المشركون مكتملي العدد والعُدّة، وقد تمهّدت لهم أسباب الغلبة من حيث حسن تمركز الجيش، إذ كانوا بالعُدوة القُصوى التي فيها الماء لسقياهم والتي كانت أرضها صلبة مهيّأة لحركة الأفراد والخيل، وأمّا المسلمين فكانوا نازلين بالعدوة الدنيا، في أرض مقفرة لا ماء فيها، تسوخُ فيها الأرجل من لين رملها، فضلاً عن أن العير التي كانوا يطلبونها قد فاتتهم وحلّت بمأمن خلف ظهور جيش المشركين، فكان من المتوقّع أن يكون دفاع جيش الأعداء عن أموالهم دفاعًا شرسًا، فكان ظاهر هذه الحالة ظاهر خيبة وخوف للمسلمين، وظاهر فوز وغلبة للمشركين، فكان من عجيب عنايته سبحانه بنصر المؤمنين أن قلب تلك الحال رأسًا على عقب، فأنزل من السماء مطرًا تطهّر به المسلمون جسديًا ونفسيًا من أسباب خوفهم، وسقوا به عطشهم، وأيقنوا برعاية الله المحيطة بهم، وتَعَبَّدَتْ به الأَرْضُ تحتهم وتصلّبت فساروا فيها بيسر، وفي المقابل تهيأت الأسباب لهزيمة المشركين بهذا المطر النازل عليهم وبالًا، إذ صارت به الأرض تحتهم وحلًا وزلقًا، يثْقُلُ فيها السيرُ، ومُنعوا من السقي، وأُلقي في قلوبهم الرُّعب[٤]. فكان ذلك فرقاناً بين تصورين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة، إذ كانت

عوامل النصر الظاهرية -كما تبيّن - كلّها في صفّ المشركين وعوامل هزيمة المسلمين الظاهرية جليّة للعيان، منطوقة باللسان (**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ**) (الأنفال: ٤٩). ولكنّ الله (عزّ وجلّ) أراد أن تجري المعركة على هذا النحو - وهي المعركة الأولى بين الكثرة المشركة والقلة المؤمنة - لتكون فرقاناً بين تصورين وتقديرين لأسباب النصر وأسباب الهزيمة ولتنتصر العقيدة القوية على الكثرة العددية وعلى الزاد والعتاد، فيتبين للناس أن النصر للعقيدة الصالحة القوية، لا للسلاح والعتاد، وأن أصحاب العقيدة المؤمنين بها عليهم أن يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة مع الباطل غير منتظرين تساوي القوى المادية الظاهرية، لأنهم يملكون قوة أخرى ترجح الكفة. وقد تحقّق ذلك واقعاً، وشهده المسلمون والمشركون عياناً.

وحريٌّ بنا ـ ونحن نستقبل شهر رمضان ـ أن نتلمس تلك المضامين المستوحاة من هذه النصوص القرآنية المباركة لنأخذ منها الدروس والعبَر، ونستنبط منها الحكمة، إذ أن سُنّة الله جارية في أيامه، مستحكمة بين عباده.

فنسأل الله ونستشفعه بأحبّ الخلق إليه محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) أن يُجري سنته في عباده المؤمنين من أبناء هذا البلد المجاهد في حربهم ضد أعداء الدين والبشرية، فيُهيِّئ للمجاهدين السائرين في درب أصحاب يوم الفرقان أسباب النصر الدائم لتتكسر شوكة المجرمين والمنافقين. وليكن شهر الله رمضان، ويوم الفرقان من أيامه حافزاً على الطاعة والتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى، ومَن ينصره الله فلا غالب له■

---

١) ينظر: الموسوعة القرآنية للأبياري ٣٩٨/١.
٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن الطوسي ١٢٠/٥، والميزان للطباطبائي ٤/٣.
٣) ينظر: في ظلال القرآن ١٥٢٦/٣ـ١٥٢٧.
٤) ينظر: مجمع البيان للطبرسي ٤٢٠/٤، والأمثل لمكارم الشيرازي ٤٤٧/٥.

ملف العدد

(المسلمون ... والشهر الفضيل)

طالب علي الشرقي
كاتب وباحث

ينابيع

قال تبارك وتعالى : (**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ...**) (التوبة: ٣٦) ولا خلاف في أن الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك من أكثرها احتواءً للفضائل والخيرات، وأعظمها اهتماماً لدى المسلمين كافة، وهذه حقيقة يعرفها الجميع ولكن: يوجد بين ذلك الجميع جمعٌ لا يعرف من كنوزه غير الصيام بالامتناع عن الأكل والشرب والنساء خلال الوقت المحدد من قُبيل أذان الفجر لحين أذان المغرب، ويعتقد إن هذا هو كل ما أراده اللّه تعالى من قوله الكريم: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) (البقرة: ١٨٣) فما هو المرجو من فرض الصيام؟

إن فرض الصيام على المكلّفين من المسلمين، وعلى من سبقهم من الأمم – بالمبدأ لا بالكيفيّة – هو تشريع ساري المفعول، وقد أداه أصحاب الديانات السماوية والوثنية فمصر الفرعونية صامت والوثنيون من الهنود صاموا كما صام أهل اليونان والرومان القدماء[1] وصام اليهود والنصارى أيضاً كل حسب طريقته. ومن هنا تظهر الأهمية القصوى لهذه الفريضة الخالدة الممتدة بامتداد العناية الإلهية الكريمة بالبشرية عبر القرون والأزمان.

وقبل تسليط الأضواء على الواقع المعاش ونصيب الأمر الإلهي من التطبيق لدى المسلمين خاصة، نقف قليلاً عند مكارم وفضائل شهر الصيام المبارك. فقد كشف لنا المتصدّون من أرباب البحث والتتبع جملة من أنعمه وفوائده، فنعتوه بالأشرف من النعوت فهو شهر الطاعة والغفران، وشهر اللّه، وشهر القرآن وفيه

ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، و(**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**) (الدخان: ٤) إنه الشهر الكريم المبارك (هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب. فاسألوا الله ربكم بنيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم)[٢].

ومن جليل مقداره جعله الله وعاءً لمناسبات تاريخية كريمة، ففي الثالث منه أُنزلت صحف إبراهيم عليه السلام، وفي السادس منه أُنزلت توراة موسى عليه السلام، وفي الثالث عشر منه أُنزل إنجيل عيسى عليه السلام، وفي الثامن عشر منه أُنزل الزبور على داوود عليه السلام، وفي الرابع والعشرين منه أُنزل القرآن على نبينا الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ـ أي إنه أُنزل في فرضه وإيجاب صومه ـ[٣].

نعود إلى السؤال الذي طرحناه (ما هو المرجو من فرض الصيام على المكلفين والذي شدد عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ**...) أي فرض عليكم؟ فورد عن هشام بن الحكم إنه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن علّة الصيام، فقال إنما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مسَّ الجوع، فيرحم الفقير..[٤] ويضاف إلى ذلك أُمور منها: إن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقطاع الهوى، وقد أكد هذا المعنى السيد الطباطبائي بقوله: ... (فهذه التقوى إنما تحصل بالصوم والكف عن الشهوات ... وأن يتقى ما يعم به البلوى من المشتهيات المباحة كالأكل والشرب والمباشرة حتى يحصل له التدرب على اتقاء المحرمات واجتنابها)[٥].

وفي الصوم مردود إيجابي من جهة النظام الصحي ففيه (إعطاء الجسم فرصة للراحة وإعادة بناء ما ضعف أو تلاشى من الخلايا أو تصفية ما تكدس من الدهون، أو ما فسد من الدماء ...)[٦].

ومن مكاسب الصوم حمل النفس على الصبر وتفعيل الإرادة الذاتية لتحقيق إنجاز أفضل وتعبّد أمثل، يتبعه ترسيخ الإيمان وتنشيط السمو الروحي، وتطهير السلوك ليثمر – بلطف الله – العتق من النار ... فروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: (يا جابر، هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله وعف بطنه وفرجه وكفّ لسانه، خرج من الذنوب كخروجه من الشهر)[٧]. والأحاديث والأخبار في هذا المجال كثيرة ومنها الحديث التربوي المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح، ودع المراء وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصائم (الصيام) ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك)[٨].

إن مَن يرى شهر رمضان شهراً تقليدياً كسائر الشهور فهو خارج أسوار العقيدة، فالصوم دعوة صريحة إلى التوبة والإنابة وإظهار الندم والاستغفار وكف الأذى عن الناس مادياً ومعنوياً وهو جُنة من النار ...

والآن، وبعد الوقوف على مجمل فضائل شهر الصيام، نجيب على ما جاء بعنوان موضوعنا: (المسلمون ... والشهر الفضيل) بقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**...) وهو نداء للمؤمنين من

المسلمين، فالمرء إذا تحقق في وجدانه ولُبّه نور الإيمان فهو الأقرب من رحمة الله ومثوبته التي لا حدود لها كما هو ظاهر من الحديث القدسي المشهور: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)[٩]، وأما الذين يحملون الهوية الإسلامية فهم على ثلاثة أقسام ـ حسب الظاهر ـ القسم الأول: أولئك الذين أنعم الله عليهم بالإيمان التام، يعلمون ما يفعلون، ولا تأخذهم متع الحياة الدنيا وبهرجها إلى ما لا يحقق أعلى درجات الامتثال، أولئك هم المفلحون ...

القسم الثاني: هم الذين يُظهرون اهتماماً واستعداداً لاستقبال الشهر الكريم وقد يصوم بعضهم يوماً أو يومين من شعبان ويمتنعون عن الأكل والشرب والمباشرة، ويقرؤون الدعاء والقرآن ويحضرون في المساجد والمراقد ... ولكن لا يقوى أغلبهم على التخلص مما اعتادوا عليه في أيامهم الاعتيادية من الغيبة أو التجاوزات. ثم إذا انقضى شهر رمضان عاد بعضهم إلى عبثه ولهوه، وقد يفعل ذلك في فترة الإفطار.

أما القسم الثالث: فهم المسلمون بالانتماء ولكنهم لا يعرفون لون النور الإلهي، وليس في مذكراتهم تعبير عن عقيدة أو دين، لقد تمردوا على كل شي وأخذتهم موجة التغريب والتحلل، يهزؤون بالموروث ويسخرون من الأعراف والتقاليد السليمة، ويفعلون المتناقضات، ويشاركون في التظاهرات والممارسات الدينية ولكنهم لا يصلّون وإذا صلى بعضهم صلى رياءً ودجلاً. ولا نريد الإيغال في كشف الإنحرافات بل نرغب في التنبيه والتذكير بأن الدنيا دار ابتلاء وليس فيها خلود وبقاء وإن الآخرة هي الأبقى، والعاقبة للمؤمنين المتقين والعقوبة للعصاة المسرفين، فهل من منقذ ولو لقسم من هذا القسم ...؟■

---

١) عبد الجبار الساعدي/ فلسفة الصوم في الإسلام/ ص٧ نقلاً عن "التوجيهات الإسلامية/ للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر.

٢) الشيخ الصدوق/ عيون أخبار الرضا/ ١: ٢٦٥/ ط٣/ ١٤٣١ هـ.

٣) الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن/ ١ – ٢/ ص٢٧٦.

٤) المصدر السابق/ ص٢٧٢.

٥) السيد الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن/٢: ٩.

٦) الساعدي/ المصدر نفسه/ ص١٥.

٧) الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ... ٧: ٦٦/ مطابع الأعلمي/ ٢٠٠٧ م.

٨) المصدر السابق.

٩) المقداد السيوري/ كنز العرفان في فقه القرآن/١: ١٦١.

إضاءات السيرة

الأسس المالية في الدولة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث: نصير علي موسى
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

يتطلع الفرد المسلم إلى دولة كريمة؛ لأجل أن يحيا فيها بكرامة وطمأنينة، ويحق لنا ولكلّ مسلم وحتّى لغير المسلمين أن يتساءلوا: تُرى هل قدّم لنا الإسلام معالم دولة عصرية؟ وهل أشار إلى ضوابط بنائها؟ أم ترك الناس يتخبّطون، لا يهتدون إلى طريق، ولا لمخرج من أمرهم؟!

وهنا سَنسلط الضوء على أحد أهم مفاصل الدولة التي اعتنى بها الإسلام وأعارها اهتمامًا كبيرًا، وهو الجانب المالي في الدولة، وكان المثل الأرقى لهذا التنسيق والتقويم هو أمير المؤمنين عليه السلام حين بويع للخلافة. على أمل أن نتحدث عن باقي مفاصل الدولة الأخرى في مقالات أخرى إن شاء الله تعالى.

فمنذ اليوم الأول الذي انتُخب فيه الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين سعى سلام الله عليه إلى إرساء دعائم النظام المالي على أُسس وقواعد تختلف عمّا كان معمولا به قبل توليه الخلافة.

وقد شدد الإمام عليه السلام في عهد ولايته على محاسبة المفسدين الذين نهبوا أموال المسلمين بغير حق. فأصدر أوامره بجمع الأموال المسروقة والمختلسة من بيت المال وإعادتها إلى خزينة الدولة. فقد تميزت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بالعدالة والصرامة وعدم المداهنة مع أي طرف مهما علا شأنه أو قرب نسبه. فقد كان جُلّ اهتمامه بشريحة الفقراء والمساكين وأهل الحاجة، مما جعل منهجه في السياسة الاقتصادية يعتمد مبدأ توزيع الأموال بصورة عادلة وسريعة على مستحقيها.

فكان عليه السلام يضع العيون على عماله يراقبون تصرفاتهم، ويتتبع هو أخبارهم. فإذا بلغه أن أحدا منهم اعتدى على بيت المال، واستغل وظيفته، أو أجحف بضعيف، ومنعه من طلبته - كتب اليه يهدده ويتوعده، وهذا ما دعا بعض العمال أن يتركوا الإمام، ويلحقوا بمعاوية، ومنهم من كان يطعن عليه لا لشيء إلا استثقالا للحق[1].

فهذا مصقلة بن هبيرة هرب إلى معاوية لأن الإمام طالبه بحق المسلمين ، وكان عاملًا له على بلدة من بلاد العجم تسمى أردشير خرة، وكان قد بلغ الإمام أن مصقلة - قبل هروبه إلى معاوية - كان يحرم المسلمين من أموالهم، ويؤثر بها أرحامه، وأبناء قبيلته، فكتب إليه بذلك، وقال له من جملة ما قال: (إن هذه الأموال حق

للمسلمين اكتسبوها بالجدّ والجهاد، وأنت أجير لهم، وقائم على ما فيه حياتهم، وعليك أن لا تستهين بشيء منه، تمامًا كما تحرص وتهتم بأمنهم والدفاع عنهم، وأن تقسم الأموال بينهم بالحق والعدل لا بالشهوات والأهواء، فتؤثر أهلك وذويك على حساب الكادحين والمجاهدين)[٢].

أما في جانب التنمية الاقتصادية واستثمار الأيدي العاملة وتوفير فرص العمل فقد اهتمّ عليه السلام بالجانب الزراعي من خلال إعمار الاراضي لاستيعاب العاطلين عن العمل وزيادة الإنتاجية الغذائية لسد حاجة المجتمع. وهذا ما أكّده أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر على ضرورة إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها، حيث قال له: (وَلْيكُن نَظَرُكَ في عمارةِ الأرْضِ أبْلَغَ من نظرِكَ في اسْتِجْلابِ الخراجِ، لأنَّ ذلكَ لا يُدْرَكُ إلّا بالعِمارةِ؛ ومن طَلَبَ الخراجَ بغيرِ عمارةٍ أخْرَبَ البلاد، وأهْلَكَ العباد)[٣].

وينقل لنا التاريخ أنّ الإمام عليه السلام كان يغرس النخل ويحفر الآبار وهي إلى اليوم ماثلة أمامنا حيث المنطقة المعروفة باسمه عليه السلام (ابيار علي)، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على اهتمام الإمام عليه السلام بالجانب الزراعي الذي يوفّر على الأمّة الإسلامية مدخولاتها، وفي الحديث الشريف: (من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله)[٤].

لقد عيّن الإمام عليه السلام عامر بن النباح أمينًا لبيت المال في الكوفة، وكان مؤذنًا لأمير المؤمنين عليه السلام وقد جاء ابن النباح يومًا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: (أمتلأ بيت المال من الصفراء والبيضاء ـ ويقصد الذهب والفضة ـ فقال الامام عليه السلام: الله أكبر، ثم أمر بتوزيع الأموال على أتباع

عاصمة الدولة الإسلامية في الكوفة وهو يقول: (يا صَفراءُ! وَيا بيضاءُ! غُرّي غَيْري) ولم يبقِ دينارًا في بيت المال وصلى كعادته ركعتينَ للّه بعد أن أفرغ بيت المال.

وهذه السياسة العادلة للإمام عليه السلام في توزيع الثروات سبّبت له أزمات سياسية واجتماعية مع البعيدين والقريبين منه، فقد خلّفت مصاعب مع جيشه، وتنكّر له الأعيان من البلاد وقاطعته قبائل قريش الإقطاعية التي أستأثرت بالمال والهبات في العهد الذي سبق ولايته.

والسياسة العادلة في توزيع المال كلفت الامام عليه السلام أثمانًا باهظة في تخاذل جيشه وتوجهه صوب معاوية، مما دعا (طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشوا إليه عند تفرق الناس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية طلبًا لما في يديه من الدنيا، فقالوا له: (يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن تخاف خلافه عليك من الناس وفراره إلى معاوية. فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، و [ما] لاح في السماء نجم. [والله] لو كانت أموالهم لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم؟)[٥].

سياسة الإمام العادلة والمشرقة التي انتهجها أدّت إلى الإطاحة بحكومته الرشيدة واجتماع القوى الباغية والمنحرفة ضده. فقد نفر الناس من سياسة المساواة والعدل على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى أكد بكتابه الكريم بقوله: (**يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم من ذَكَر وَانثى وَجَعَلْناكم شُعوباً وَقَبائلَ لِتعارَفوا إنَّ أكْرمَكُم عندَ اللّه أتقاكُم**) (الحجرات: ١٣).

إن النظام الاقتصادي الذي أعتمده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يهدف إلى إقامة مجتمع عادل ومتوازن لا تقف فيه الإقطاعية أو الرأسمالية موقف التسلط والتسيد على رقاب الناس ولا يوجد فيه فقير ومحروم وبائس. فقد كان الإمام شديدًا وعادلًا مع أقرب المقربين، وكان حازمًا مع أولاده ومع أخوته، وحادثة أخيه عقيل هي دليل قاطع على عدالته، عندما طلب عقيل مساعدة أكبر مما يستحق من بيت المال، مما دعا الإمام أن يحمي له جمرة ويكوي بها يده[٦]. جاعلًا من ذلك الموقف عبرةً ودرسًا للعدالة والمساواة بين الرعية.

المساواة في العطاء

من أبرز ما تميزت به سياسة الإمام المالية هي المساواة في العطاء، إذ أن سياسة التمييز في العطاء التي اتبعها الخليفة الثاني وسار عليها الثالث قد جرّت الكثير من الويلات على المسلمين، وقد أسّست هذه السياسة لنشوء طبقة من الأثرياء، وأدّت إلى حرمان المسلمين حقّهم في فيئهم.

وقد لاحظنا موقف أبي ذر (رضوان الله عليه) واعتراضه على السياسة العثمانية في العطاء، الأمر الذي أدّى بهذا الصحابي الجليل إلى أن يتعرض للنفي، بعد أن خافوه على دنياهم، حيث صرّح أمير المؤمنين عليه السلام عند وداعه لأبي ذر (رضوان الله عليه) بقوله:

(يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ إِنَّمَا غَضِبْتَ لِلّه عَزَّ وجَلَّ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَه إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وخِفْتَهُمْ عَلَى دينك فَأَرْحَلُوكَ عَن الْفِنَاءِ وامْتَحَنُوكَ بِالْبَلَاءِ ووَاللّه لَوْ كَانَتَ

السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ عَلَى عَبْد رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللّه عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ لَه منْهَا مَخْرَجاً فَلَا يُؤْنسُكَ إلَّا الْحَقُّ ولَا يُوحشُكَ إلَّا الْبَاطلُ)[٧].

حيث نلحظ قول الإمام عليه السلام: (خافوك على دنياهم) أي أن القوم استأثروا بأموال الناس وأخذوا يتداولونها بالباطل مما اضطر أبا ذر (رضوان الله عليه) أن يصرّح ويعلن بطلان هذه الأحكام وهذا التمييز وهذا التصرف غير المشروع في أموال المسلمين، كلمة الحق هذه التي تحمّل من أجلها النفي والطرد من المدينة المنورة، بعد أن كان من الصحابة المقرّبين عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذًا، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ورث كمًّا هائلًا من الانحرافات في هذا الجانب، انحرافات في تفضيل الأبيض على الأسود، والشريف على المشروف، والعربي على الأعجمي، وكلّها أمور رفضها الإسلام وحاربها. لذا جُوبه الإمام عليه السلام بمعارضة شديدة، وأخذوا يؤلبون الناس عليه وهذا ما نراه واضحًا وجليًا في موقف عائشة وطلحة والزبير.

ونلاحظ من جملة المعترضين على سياسة التسوية في العطاء عقيل أخو الإمام عليه السلام، (عَنْ أَبي عَبْد اللّه عليه السلام قَالَ: لَمَّا وَلِيَ عَلِيٌّ عليه السلام صَعدَ الْمنْبَرَ فَحَمدَ اللّه وأَثْنَى عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: إنِّي واللّه لَا أَرْزَؤُكُمْ منْ فَيْئكُمْ درْهَماً مَا قَامَ لي عَذْقٌ بيَثْرِبَ فَلْيَصْدُقْكُمْ أَنْفُسُكُمْ أفَتَرَوْنَي مَانعًا نَفْسي ومُعْطيَكُمْ؟ قَالَ: فَقَامَ إلَيْه عَقيلٌ فَقَالَ لَه: واللّه لَتَجْعَلَنِّي وأَسْوَدَ بالْمَدينَة سَوَاءً! فَقَالَ: اجْلسْ أَمَا كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ غَيْرُكَ ومَا فَضْلُكَ عَلَيْه إلَّا بسَابقَة أَوْ بتَقْوَى)[٨].

وبعد بيعته خَطَبَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ عليه السلام فَحَمدَ اللّه وأَثْنَى عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ آدَمَ لَمْ يَلدْ عَبْدًا ولَا أَمَةً وإنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَحْرَارٌ ولَكنَّ اللّه خَوَّلَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا فَمَنْ كَانَ لَه بَلَاءٌ فَصَبَرَ في الْخَيْر فَلَا يَمُنَّ به عَلَى اللّه عَزَّ وجَلَّ، أَلَا وقَدْ حَضَرَ شَيْءٌ ونَحْنُ مُسَوُّونَ فيه بَيْنَ الأَسْوَد والأَحْمَر. فَقَالَ مَرْوَانُ لطَلْحَةَ والزُّبَيْر: مَا أَرَادَ بهَذَا غَيْرَكُمَا، قَالَ: فَأَعْطَى كُلَّ وَاحد ثَلَاثَةَ دَنَانيرَ وأَعْطَى رَجُلًا منَ الأَنْصَار ثَلَاثَةَ دَنَانيرَ وجَاءَ بَعْدُ غُلَامٌ أَسْوَدُ فَأَعْطَاه ثَلَاثَةَ دَنَانيرَ، فَقَالَ الأَنْصَاريُّ: يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ هَذَا غُلَامٌ أَعْتَقْتُه بالأَمْس تَجْعَلُني وإيَّاه سَوَاءً! فَقَالَ: إنِّي نَظَرْتُ في كتَاب اللّه فَلَمْ أَجدْ لوُلْد إسْمَاعيلَ عَلَى وُلْد إسْحَاقَ فَضْلًا[٩].

وأكثرهم للحق كارهون

وهنا لابد أن نتوقف قليلًا عند المصاعب والمشاكل والآلام التي تحمّلها الإمام عليه السلام بسبب نظامه المالي العادل.

فكان أول المعترضين على سياسة التسوية (طلحة والزبير)، فقد استاءا كثيرًا من هذه السياسة، وأخذا يعدّان العدة لنقض البيعة والتحضير للحرب!

حيث تكلّما مع الإمام عليه السلام وحاولا إقناعه بأن يفضّلهما في العطاء، وتذرّعا بأنهما من أصحاب السابقة في الإسلام، فكان ردّ الإمام قاطعًا وحازمًا، وقد يئسا من الحصول على منصب أو مال أكثر من استحقاقهما.

وقد صرّحا بأنّ عمر كان يفضّلهما في العطاء، ولكن هذا التفضيل لم يكن ليجد مكانه في حكومة العدل، حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(روينا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه أمر عمار بن ياسر وعبيد الله بن أبي رافع، وأبا الهيثم بن التيهان أن يقسموا فيئًا بين

المسلمين، وقال لهم: اعدلوا فيه ولا تفضلوا أحدًا على أحد، فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كلّ رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا الناس فأقبل إليهم طلحة والزبير، ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير فقال طلحة والزبير: ليس هكذا يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام فمضيا إليه فوجداه في بعض أمواله قائمًا في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا له: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟ قال: نعم. فقالا له: إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفيء فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس. قال: وما تريدان؟ قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر. قال: فما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيكما؟ فسكتا، فقال: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة؟

قالا: نعم. قال: أفسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالاتباع أم سنة عمر؟ قالا: بل سنة رسول الله. ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وعناء وقرابة، فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس فافعل. قال: سابقتكما أسبق أم سابقتي؟ قالا: سابقتك. قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟ قالا: قرابتك. قال: فعناؤكما أعظم أم عنائي؟ قالا: بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم عناءً. قال: فوالله ما أنا وأجيري هذا ـ وأومأ بيده إلى الأجير الذي بين يديه - في هذا المال إلا بمنزلة واحدة!!! قالا: جئنا لهذا وغيره. قال: وما غير؟ قالا: أردنا العمرة فأذن لنا. قال: انطلقا فما العمرة تريدان، ولقد أنبئت بأمركما ورأيت مضاجعكما!!! فمضيا. وهو يتلو وهما يسمعان: (**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفى بما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمًا**))[10] (الفتح: ٤٨).

وبالفعل، توجّها بحجّة أنّهما يريدان العمرة، ولكن الإمام عليه السلام كان عارفاً بسوء النية لديهما، بل خرجا من المدينة متذمرين من الوضع الجديد الذي لم يألفاه، خرجا وهما يريدان إعداد العدّة للحرب!

وكان خروج هذين الرجلين (طلحة والزبير) بداية لمآسٍ كثيرة، حيث أخذا يجتمعان بعائشة ومروان، وبدأوا يخططون للانقلاب على النظام الجديد الذي ساوى بينهم وبين العبيد. وكان تخطيطهم بأن يرفعوا قميص عثمان للمطالبة بدمه!

شعارٌ رفعوه في الظاهر، لكن الواقع كان هو فقدانهم للمصالح والمناصب والأموال التي كانوا يأخذونها بغير حق، وقد نقضوا البيعة التي في أعناقهم حيث أعلنوا (ليس لعلي في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين!!!)[11].

والخلاصة، فإن بناء الدولة اقتصاديًا كان مما اهتم به الإسلام وجسده أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، بإقامة مشاريع التنمية في البلاد لإعمارها واستثمار الأيدي العاملة فيها، وتوزيع الثروات بشكل عادل بين الناس ليقضي بذلك على الفقر ومظاهره، فلطالما كان عليه السلام يقول: (ما جاع فقير إلاّ بما متّع به غنيّ) أو قوله:(لو كان الفقر رجلا لقتلته). ولم يكن يهمه المعترضون ما دام يقيم الحق ويدفع الباطل.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي: مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيمَةَ لَهَا. فَقَالَ عليه السلام واللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا[12]■

١) في ظلال نهج البلاغة /محمد جواد مغنية/ ج٤ص٦.
٢) ن.م.
٣) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤٣٦.
٤) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي: ١٥/٦.
٥) الأمالي/الشيخ المفيد/ص١٧٥.
٦) ينظر: شرح النهج/ابن ميثم البحراني/ ج٢ص٣٦.
٧) الكافي /للكليني/ج٨ص٢٠٧.
٨) الكافي/للكليني/ج٨ص١٨٢.
٩) ن.م/ص٦٩.
١٠) دعائم الإسلام/القاضي النعمان المغربي/ ج١ص٣٨٤.
١١) بحار الأنوار/المجلسي/ج٣٢ص٦.
١٢) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٧٦.

في رثاء أمير المؤمنين عليه السلام

لكَ الويلُ من دهرٍ رمى الصّيدَ بالغدرِ ... وخاتلها بالمكرِ من حيثُ لا تدري
لك الويلُ يا أشقى ثمودَ ابن ملجمٍ ... فتكْتَ بِطَلَّاعِ الثنايا إلى النَّصرِ
دسستَ لهُ تحتَ الظلامِ غوائلًا ... بها أصبحَ الإسلامُ مُحدْودِبَ الظَهرِ
فألفيتهُ كالبدرِ يزهو جبينهُ ... بدائرةِ المحرابِ يصدعُ بالذّكرِ
يُصلّي وأملاكُ السماءِ تحاشدتْ ... تصلّي عليهِ، والهُدى كامل البِشْرِ
فلقْتَ بِحَدِّ السيفِ هامةَ فَيصَلٍ ... وخَضَّبْتَ وجهًا دونهُ هالةَ البَدْرِ
قتلتَ بهِ دينَ الإلهِ وَوحيهِ ... وهَدّمْتَ أركانَ الإنابةِ والسِرِّ
ولمّا وعى شِبلاهُ من جانبِ الحِمى ... نعيَ أبي الأشبالِ مُسْتَنْزل السِفْرِ
ألمًا وقد أودى الأسى بحشاهُما ... وقالا: وقيت النائبات أبا الغُرِّ
فدتكَ الورى يا خيرَ من وطئَ الثرى ... من اغتال ليثُ الغابِ في ليلةِ القدرِ

الفقيه إبراهيم بن صادق العاملي الطَّيّبي

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س شخص رأى هلال شهر رمضان ليلة السبت (٢٢ اغسطس ٢٠٠٩م) وهو في أمريكا، ولم تكن رؤية الهلال ثابتة في مشهد المقدسة، وليست مشهد متحدة في أفقها مع أمريكا، لذلك فقد صام المؤمنون المشهديون شهر رمضان ابتداءً من يوم الأحد (٣٢ اغسطس)، ثم إن هذا الشخص سافر ـ بعد صوم سبعة وعشرين يوماً في أمريكا ـ إلى مشهد ولم تثبت رؤية الهلال في مشهد، أو ما اتحد معها في الأفق ليلة الشك في عيد الفطر بالنسبة له وهي ليلة الأحد (٠٢ سبتمبر)، ولم تثبت أيضاً رؤية الهلال في مشهد أو ما اتحد معها في الأفق ليلة الاثنين (١٢سبتمبر).

السؤال: هل يجب عليه الإفطار يوم الاثنين (١٢سبتمبر) (يوم الشك بالنسبة لأهل مشهد)، لأنه قد صام ثلاثين يوماً من شهر رمضان، فكملت عدّة الشهر بصوم يوم الأحد، أم يجب عليه الصوم يوم الاثنين (يوم الشك بالنسبة لأهل مشهد)، لأنه به يتحقق إكمال العدّة بالنسبة لأهل مشهد؟

ج **يجب عليه البناء على شهر رمضان بحسب مصادر الإثبات الشرعية في كلّ منطقة بحسبها، وعليه فاللازم عليه الصوم في مشهد يوم الشك ما دام لم تثبت الرؤية الشرعية فيها.**

س ما هو وجه تخصيص العالم القديم بوحدة الأفق، ثم ما هو حكم أهالي المناطق القريبة من الأمريكيتين أو المناطق المغاربة لبعض مناطق الأمريكيتين مثل بعض مناطق أوربا؟

ج **الوجه في ذلك أن دليل اتحاد الأفق هو النصوص المتضمنة للاكتفاء في الصوم بالرؤية في بعض الأمصار، وحيث كانت أمصار المسلمين في عهد صدور الروايات تمتد إلى غرب أوربا وأفريقيا، حيث منع الأمر الأندلس والمغرب العربي تضمن التعميم لما يكون في هذا السمت ولا يمتد لما وراءه. وقد فصلنا الكلام في المسألة في كتاب مبحث الصوم من منهاج المصباح.**

س بلع الدم الذي يكون في باطن الفم في نهار شهر رمضان هل هو مفطر أم لا؟ وإذا كان مفطراً فما هو وجهه العلمي، مع أنه لا يصدق عليه الشرب، لأن الشرب ما يكون من خارج الفم؟

ج **لو فرض عدم صدق الأكل والشرب في المقام لاختصاصهما بما يكون خارج الفم إلا أن المستفاد عرفاً إلغاء الخصوصية المذكورة للأكل والشرب، ولذا يحرم ابتلاعه بملاك حرمة أكل الدم وشربه، كما يحرم ابتلاع جزء من الشحم المنفصل من الباطن، كما لو قطع مقدم من اللسان في الباطن، حيث لا إشكال في حرمة ابتلاعه ومفطريته بملاك حرمة أكل الميتة ومفطريتها حتى ولو لم يصدق عليه الأكل لأنه من الباطن.**

س أنا لا أصوم لمرض دائم الفدية هل يجوز أن تكون من اللحم والدجاج أم فقط يجب أن أعطي الفقراء طحين وحبوب.

ج **لا يكفي اللحم والدجاج بل لابد من كونه من الطعام كالطحين والتمر ونحوهما.**

س إنّ شخصاً مؤمناً له معيل من المخالفين وقد دفع معيله عنه زكاة فطرته إلى مخالف لا يعلم هل هو من المستضعفين أم لا، فهل تسقط عنه والحال هذه أم يجب عليه (على المؤمن) إخراجها من ماله عن نفسه وتسليمها إلى مؤمن مستحق لها؟ ثم ما المراد من المخالف المستضعف؟

ج **الأحوط وجوباً له أداء الفطرة بنفسه. والمراد بالمستضعف من لا قابلية له على النظر والاختيار ولو لعدم التفاته للخلاف في الحق.**

س طالب يدرس خارج البلاد ويعتمد على والده الذي يرسل له مصروفه فهل يكون من عياله؟ وهل يجب زكاة الفطرة على الوالد أو على نفس الولد؟

ج **لا يكفي مجرّد الاعتماد عليه في النفقة بل لابد من التبعة والارتباط بنحو تكون من عياله.**

س ما يقول مولانا: ذكر الفقهاء والضابط في جنس زكاة الفطرة ان يكون قوتاً لغالب الناس والأفضل إخراج التمر ثم الزبيب إلى آخرها فهل يجوز دفع زكاة الفطرة في الطحين لأن أغلب الناس يشترون الطحين ويخبزونه في بيوتهم أو يشتري الخبز من السوق وربما زارع الحنطة والشعير يبيع الحنطة ويشتري الطحين ويخبزه في بيته فهل يجوز دفع زكاة الفطرة من الطحين، وإذا كان السعر في بلده مع غير بلده متفاوت فهل يكفي الدفع من سعر بلده وهل يجب الخمس حينما يريد دفع زكاة الفطرة.

ج **يجوز دفع الطحين من الحنطة أو الشعير وإن لم يكن قوتاً للمكلف ولعياله والمدار في السعر على مكان عزل زكاة الفطرة، وإن لم يعزلها حتى دفعها فالمدار على قيمة مكان الدفع.**

س ما حكم صلاة وصوم الأشخاص من أهالي الفاو سابقاً (والذين ما زالوا يطلق عليهم أنهم من أهالي الفاو رغم أنهم لا يسكنون فيها، والذين يعملون في صيد الأسماك، وإن عملهم يتطلب منهم ترك مركز المدينة التي كانت لهم بها مساكن، والدخول للبحر والبقاء هناك يومين أو أكثر وقطعوا المسافة الشرعية؟

ج **إنهم مسافرون في تلك الحال ويجب عليهم الإفطار والقصر إلّا أن يكون الغالب في حياتهم السفر، بحيث يكون شيئاً اعتيادياً في حياتهم، وكثيراً منهم فإنه حينئذ يجب عليهم التمام والصيام إلّا أن يبقى في مكان واحد عشرة أيام، فإنه يقصر في السفرة الأولى، ويفطر ثم يعود للتمام والصيام في السفرة الثانية وما بعدها.**

س أنا طالب من البحرين ذهبت إلى بريطانيا بغرض دراسة اللغة الإنجليزية، وقد أمكث في بريطانيا لمدة شهر ونصف تقريبا أو شهرين، والمشكلة أني أقطع المسافة الشرعية بشكل يومي تقريبا من مكان إقامتي إلى معهد الدراسة، فما هو حكم صومي بالنسبة لشهر رمضان المبارك وكذلك صلاتي؟

ج **يجب عليك القصر والإفطار.**

س ما حكم صلاة وصيام امرأة متزوجة، وبيت زوجها يبعد عن بيت أهلها المسافة الشرعية، وجاءت إلى بيت أهلها مسافرة، هذا من جانب ومن جانب آخر أتت إلى بيت والدها نتيجة سوء تفاهم بينها وبين زوجها؟

ج **إذا جاءت المرأة مسافرة إلى بيت أهلها في الحالة الاعتيادية، فيجب عليها القصر، وإذا جاءت إلى أهلها نتيجة سوء تفاهم فيجب عليها التقصير أيضاً إلّا أن تعلم أنها تبقى عشرة أيام أو أكثر، فإنه يجب عليها التمام.**

س من نذر أن يصوم آخر شعبان وصام ثم تبين أنه من رمضان، فيجزئ عن رمضان ولكن هل يجزئ عن نذره أم لا؟ ولو علم ذلك قبل الزوال أم بعده، فما حكمه من إجزاء نذره وعدمه؟

ج **الأحوط وجوباً قضاء نذره وحكمه مذكور في المنهاج فليراجع.**

س إن عجز عن صيام ثلاثة متوالية، هل يجب أن يصومها متفرقة، أم يكفي الاستغفار؟

ج **لا يجب عليه صيامها متفرقة.**

س نذرت صيام يوم الجمعة الماضي، ولكني تركت صيامه عمداً، فهل يجب علي بالأضافة إلى الكفارة أن أقضيه؟

ج **يجب القضاء والكفارة**

س كنت أقلد من لا يقول بأن للمرأة مني، وكان تقليدي مبنياً على التساهل ولم يكن وفق الموازين الشرعية، وبالتالي لم أكن أغتسل حال الاحتلام أو الجنابة من دون دخول. فما حكم صلاتي وصومي؟

ج **إذا كان ما يخرج من المرأة في المدة المذكورة منياً فالأحوط وجوباً إعادة الصلوات الواقعة بدون غسل مشروع ولو مثل غسل الجمعة، وأما الصوم فلا يجب قضاؤه لعدم تحقق تعمد الجنابة.**

س س: إذا خرج مع البول أو بعده سائل منوي (المني) بدون شهوة أو فتور أو تدفق، أي بدون العلامات الثلاث: أ ـ فهل يجب عليّ في هذه الحالة غسل الجنابة؟

ج **ليس هذا منياً، وهو طاهر في نفسه، ولا يجب منه الغسل ولا الوضوء.**

ب- وهل عليّ إعادة الصلاة والصيام إذا كنت جاهلاً بأن هذا السائل مني وإنه يجب الغسل؟

ج **ج: لا يجب.**

جـ ـ وهل يجب الفحص للتأكد من أنه مني أو سائل آخر؟

ج **ج: لا يجب.**

قراءات

قراءة ومقارنة بين القرآن الكريم ومضمون الكتب القديمة

الباحث هادي عبد الأمير الحيدري

ينابيع

نحاول في هذه الدراسة التوضيح بإيجار لمحتويات الكتب القديمة عند اليهود والمسيح ومقارنتها بالقرآن الكريم من خلال الوحي وسند هذه الكتب.

العهد القديم:

وهو كتاب يعرفون فيه أخبار العالم من عصوره الأولى، وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتأريخهم ونشأتهم ومكوناتهم، وحوادثهم ونبوءاتهم، والبشارة بالنبيين اللاحقين وبالمسيح، وفيها يجدون أدعيتهم المتواترة التي تعينهم على عباداتهم وطقوسهم الدينية كمزامير داود[١].

يقول الشيخ رحمت الله الهندي في مؤلفه إظهار الحق ج١ ص٧٧: إن الأسفار في العهد القديم تنقسم إلى قسمين: قسم اتفق على صحته جمهور قدماء المسيحيين وقسم اختلفوا فيه.

أما القسم الأول المتفق على صحته: فثمانية وثلاثون سفراً وهناك من يضيف آخر، أولها سفر التكوين وآخرها سفر ملاخي. (وهذه الأسفار كتبت بلغتين مختلفتين واعتمدت على التراث المنقول شفهياً)، وهذا الكلام يتعلق بالدرجة الأولى بقضية سند هذا الكتاب واتصاله وانقطاعه، وهو ما سنبحثه بعد حين. أما محتويات هذه الأسفار فتتضمن الآتي:

تضم الأسفار: ١ـ أسفار موسى الخمسة. ٢ـ الكتب التاريخية. ٣ـ الكتب النبوية. ٤ـ كتب الشعر والحكمة.

تنويه: إن السامريين لا يؤمنون إلا بأسفار موسى وسفري يوشع والقضاة[٢].

أما القسم الثاني: وهو المختلف عليه عندهم: ويشتمل على تسعة أسفار. ومجموع العهد القديم مقدس لدى اليهود والمسيحيين، ولكن أسفارهم غير متفق عليها، حيث أن هناك أسفاراً يضيفها بعض الأحبار ويرفضها آخرون، بينما تضيف الكنيسة الكاثوليكية أسفاراً وترفضها البروتستانتية، والسامريون لا يؤمنون إلا بأسفار موسى التي يضيفون لها سفرين لتصبح سبعة.

العهد الجديد:

كالعهد القديم ينقسم إلى قسمين: قسم اتفق على صحته جمهور قدماء المسيحيين

وقسم اختلفوا فيه:

القسم الأول وفيه عشرون كتاباً وأوله الإنجيل:

١- إنجيل متى. ٢- إنجيل مرقس. ٣- إنجيل لوقا. ٤- إنجيل يوحنا.

وظهر أن هذه الأربعة تشبه تماماً أسفار موسى الخمسة أي أن الأناجيل هي القطب والمركز. (ومكان الأناجيل في النصرانية هي مكان القلب والعماد. وإن شخصية المسيح وما أحاط بها من أفكار هي شعار المسيحية وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها)[٣].

أما القسم الثاني فهو المختلف عليه وهو سبعة أسفار وبعض الفقرات الأولى من الرسالة الأولى ليوحنا[٤].

فقبل تدوين الإنجيل كتابة كان الإنجيل الشفهي أي نقل البُشرى شفهياً على لسان الرسل وتلاميذهم، فكان قد انتشرت في الإمبراطورية الرومانية كلها: لم يكتب المسيح إنجيلاً ولم يطلب من تلاميذه أن يكتبوا. (فوحي المسيحية في الدرجة الأولى ليس وحيا كتابياً ينزل حروفاً بكلمات، بل هو وحي شخص حي هو المسيح) والمراد هو نقل التعليمات هذه والعمل بها لتبقى حية ولم يرد في ذهن المسيح وحوارييه أن يكتبوها، ولكن قادة المسيحية شرعوها وجعلوها أربعة أناجيل، وأن المسيحية الحقة هي إنجيل واحد، وإنهم يرون أن هذه الأناجيل تتفق جوهراً وموضوعاً وذلك اعتراف ضمني أنها تختلف في الشكل الخارجي. ويقال عن متي إنه من تلاميذ المسيح إلا أنه لم يذكر اسمه إطلاقاً في الأناجيل الأربعة وكذلك لوقا لم يرد ذكره وإنما نسب إليه (سفر أعمال الرسل) الذي نسب إلى غيره. وإنجيل يوحنا ينسب إلى يوحنا الرسول الذي هو أحد تلاميذ يوحنا المعمدان، فالبعض يروه كاتب الإنجيل

والبعض الآخر يرفضوه.

القرآن الكريم:

هو الكتاب الذي نزل من السماء على محمد رسول الله ﷺ وهو الكتاب الذي يقدسه كل مسلم على وجه الأرض، وأمر الرسول بكتابة كل نازل منه ومجموعه (١١٤) سورة، وإن القرآن هو معجزة الرسول ﷺ الذي تحدى به الجميع، وأنه نزل بلغة واحدة وهي العربية (**قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**...) (الزمر- ٢٨) وهو يقرأ بنفس اللغة.

والموضوع الذي تضمنه القرآن هو توحيد الله وتنزيهه في صفاته، ودعى إلى طاعته، وبيان طريقة عبادته من تحليل وتحريم، وحضر وإباحة، ووعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، مودعاً أخبار القرون الماضية، مثبتاً عن الكوائن المستقبلية في الأزمان الآتية، جامعاً في ذلك الحجة والمحتج، له الدليل والمدلول عليه[٥]. بل إنه شامل أو مشتمل على الأركان الخمسة وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد يوم القيامة ومتضمناً فروع الدين. ففيه نبأ ما قبلنا وما بعدنا، وهو تدبر لإهلاك الظانين ونجاة المهتدين وفيه حكم ما بيننا من المشاكل والمسائل التي نحتاج إلى بيان وإرشاد من المسائل الاعتقادية والفكرية، والمسائل الأخلاقية والسلوكية، والمعاملات المالية وفروع العبادة والأحكام الشرعية، وما من حكم إلا وله عرق ينبض أو معين لا ينضب.

وبعد أن عرفنا عن الكتب المقدسة في الأديان الثلاثة بشكل مختصر، علينا أن نعرف الوحي لدينا.

فالوحي، لغة: هو الإعلام في الخفاء.

اصطلاحاً: (إنه إعلام الله تعالى لنبيّ من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه)[٦].

وإن الوحي الإلهي وإن كان واحدًا لجميع الأنبياء، وطرقه متشابهة، إلا أن الوحي الذي يدعيه أهل الكتاب اليوم بالنسبة إلى كتاب الأسفار والأناجيل يختلف تمام الاختلاف عن الوحي الإلهي، فالوحي الذي يصوره الكتاب المقدس بعهديه قد يكون بصوت مسموع، وقد لا يعرف الموحى إليه مصدر النداء هل هو من الله أو من شيطان، والوحي عندهم لم يكن مقتصراً على النبي، قد يكون لغيره من البشر العاديين، والإلهام الذي يدعونه لأئمتهم في جميع حالاته غير الوحي، بل هو درجة أدنى، وعلى فرض تحقيقه لا تثبت به رسالة، ولا يأتي عن طريقه كتاب سماوي يتلى.

أما وصول القرآن الكريم إلينا بسند متصل عن النبي ﷺ عن جبرائيل عليه السلام عن الله (عزوجل)، دون تغيير ولا تبديل حقيقة يقينية يقرها المسلمون وغير المسلمين، والدليل على ذلك أن القرآن بنسخه الحالية المطابقة للنسخ الأصلية القديمة أكبر دليل على ذلك بأنه كتاب سماوي خالٍ من التحريف.

وللوحي في العهد القديم ثلاث صور:

١- كلام الله إلى الأنبياء.

٢- الرؤى والأحلام.

٣- طريق الملائكة بصوت إنسان أو بصوت ملاك.

أما في العهد الجديد، فاعترف بكل ما هو في العهد القديم وأضاف أنه يكون عن طريق حلول روح الله بالأنبياء وتلاميذهم وجلسائهم. لكن الوحي في الإسلام يقول عز من قائل: (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ**

اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَرَاء حجَاب أَوْ يُرْسلَ رَسُولاً فَيُوحيَ بِإِذْنه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الشورى:٥١).

وهذا ما يفرق بين كلام الله لأنبيائه وبين كلام البشر، حيث لا يكيف بالصوت والتموجات الصوتية أو برؤية الله واقفاً بإزائهم كما هو عند أهل الكتاب، فالوحي القرآني إما أن يأتيه ملك بشكل صلصلة الجرس أو أن ينفث في روحه أو أن يأتيه في صورة رجل ويكلمه في النوم أو يكلمه في اليقظة كما في الليل.

وللتحقق من كون أي من هذه الكتب وحياً من الله لابد من إثبات ذلك من وجهين:

الأول: خارجي، وهو إثبات تاريخي للتحقق من نسبته إلى النبي حتى يتحقق لدينا نسبته إلى الله.

الثاني: دراسة الكتاب ذاته، وهو التأكد من خلوه من التناقض بالحقائق الثابتة، علمية كانت أو تاريخية أو عقلية.

والخلاف بين القرآن والعهدين في مسألة الوحي: فالوحي عندهم هو من الله مباشرة إلى العبد، فإذا كان الأمر عندهم كذلك، لابد أن يكون الوحي بكيفية تليق بذاته المقدسة، وليس كما عندهم كلام بصوت أو تموجات صوتية بشرية، كما لا يظهر الله بصورة بشر أمام العبد، لأن الله أجل عن ذلك.

إن وصف القرآن بهذه الطريقة من الوحي، يسكت عن الكيفية، فهذا ما لا يعلمه إلا الله، وعلينا أن نؤمن بهذه الكيفية لكونها لائقة بذاته الكريمة.

أما سفر التكوين يقول: (وسمعنا صوت الرب) وفي نفس السفر أيضاً (وظهر له الرب)، أما عن كلام الله إلى موسى فهو كلام لا بحرف ولا بصوت، أما عن تشخيص الله وتجسيده فعقيدتنا راسخة في قوله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ**...) (الشورى ـ ١١)[٧].

أسانيد الكتب القديمة:

أولاً سند التوراة: السند له ميزتان: الأولى العلو والارتفاع، والثانية القوة التي تسند غيرها، والسند في النصوص هو ما يعلوها ويرتفع فوقها، وسلسلة السند هم من يسند لهم ذلك النص. كما في لسان العرب: أسند الحديث أي رفعه، والسند من الحديث ما اتصل إسناده إلى النبي ﷺ[٨].

وسوف نثبت مباشرة أن لا سند للتوراة الأصلية ولا نخوض في غمراتها:

نأخذ قول محقق كتاب شفاء الغليل: إن التوراة ظلت على حالها إلى سنة (٥٨٦ق.م) ثم تغيرت وتبدلت، ثم شكلت لجنة من العلماء برئاسة (عزرا الوراق) لكتابة التوراة الجديدة، وذلك هو السبب الذي أدى لانفصال السامريين عن العبرانيين لهذا اليوم وجعل كلًا منهم يتجاسر على حذف آيات الآخر[٩]، بالإضافة إلى أن منهم من يؤمن أو ينكر بعض الأسفار، وإن قداسة الكتاب عندهم أو عدم قداسته تتوقف على مدى صلته بمؤلفه، وظل الأمر هكذا حتى نشطت حركة النقد في العصور الوسطى التي زعزعت التوراة ونسبتها إلى موسى ومنهم (اندرياس) الذي نقد الكتاب المقدس وألف كتابه المشهور (الأسفار الشرعية) سنة ١٥٢٠م.

س: هل موسى كتب الكتاب؟ نحن نعلم أن التوراة نزلت على موسى، لكن التوراة الحالية لم تكن بخط يده ولم تنقل عنه من السماع، فذلك سفر التكوين الذي

يشرح مؤلفه فيه استيلاء بني إسرائيل على الأرض التي كان يسكنها الكنعانيون وطردوهم منها. وهذا يدلل على أن سفر التكوين لم يكن موسى قد كتبه بيده لأنه حصل بزمن داود. وهل أن مؤلف التوراة واحد؟ ربما واحد والبعض يرى أكثر من واحد وفي جميع الحالات هو ليس موسى. وإذا قلنا عزرا فإنه ليس بعزير النبي لأنه إذا عرب لم يتغير حاله، وإذا قلنا أن عزرا كتبها بعد ضياعها إذ ألهمه الله فذاك لبس الحق بالباطل وحرف الكلم عن مواضعه وزاد فيها ونقص منها ولم يكن نبياً ولم يكن ولياً، وإنما كان من العلماء الذين ساهموا مساهمة فاعلة في وضع أسس الصهيونية وتحريف كلام الله[١٠]، فالناقد الألماني (نولدكه) في كتابه (اللغة السامية) يرى أن التوراة ألفت عن رواة سمعوها بعد أسر بابل، ويقول: جمعت التوراة بعد موسى بـ ٩٠٠سنة وتعرضت للزيادة والنقصان، وأن التوراة تعرضت إلى الترجمة وأن المترجم كائن بشري عرضة للخطأ، وإن القارئ يصبح تحت رحمة المترجم[١١].

وقال بعض أهل الكتاب: لا شك أن قول المسلمين بتغيير الكتاب هو دعوى بدون دليل، وجوابه (الشك لم يكن بالأنبياء، وإنما الكتب المنقولة عنهم غير صحيحة، ونقلها كل قوم إلى لغتهم، ولكن البحث في أصلها وكاتبها ومن تلقاها عنهم هو الأمر المشكل والنداء المعضل الذي لم يجد أهل الكتاب له دواء ولا علاجا)[١٢]. وإن اليهود والنصارى اتفقوا على وقوع التحريف. فالمسيحيون يقولون إن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عناداً، وحذروا من الاعتراف بإرسال المسيح، واليهود يزعمون أن المسيح حرفوا ما بأيديهم من النسخ وأن المسيح يأتي آخر الدور السابع.

سند الأناجيل:

لما كانت المسيحية تعتمد على أربعة أناجيل غير متجانسة كما عرفنا، فإنها لا تشكل عقيدة محددة وتفصيلاً كاملاً لتنظيم الكنيسة[١٣]، وكان هناك تأخر في كتابة الأناجيل لعدة أسباب منها:

١ـ الجهل المسيطر.

٢ـ نقل التعاليم الدينية شفاهة وما تبقى منها لا يعدو عن كونه فكرة باهتة.

٣ـ ثمن تكليف الكتابة.

٤ـ فكرة عودة المسيح إلى الأرض مجدداً لها أثر.

٥ـ صعوبة جمع المعلومات اللازمة للكتابة نظراً لحياة الاضطراب والاضطهاد التي عاشها المسيحيون[١٤]. ومما يثير الشك والريبة هو اعتراف الموسوعة الأمريكية (أن العهد الجديد من أوله إلى آخره كتاب إغريقي بينما الكتاب الذي جاء به المسيح هو بالآرامية ولكن ترجمة هذه التعاليم الشفهية إلى الإغريقية يعني إن النص الأول مفقود وإن ترجمة النص لا يعني أنها عين النص لذا فأن المسيحيين لم يأتوا بالنسخة الأصلية وإن تعدد الأناجيل دليل على أن الإنجيل الذي جاء به عيسى لا وجود له، وكل أناجيلهم هي كإنجيل لوقا الذي يقول: سأقوم بتأليف أو كتابة رسالة إلى صديق ليطلعه على ما توصل إليه من تعاليم وقيم كي يسير على خطاه بالإضافة إلى أنه لم يكن من تلاميذ المسيح أو من حواريه، كما أننا لا نعلم الفروق والاختلاف في شخصية لوقا نفسه، وهل أن السفر كتبه شخص واحد أو عدة أشخاص؟ كما اختلف في المكان الذي كتبه فيه، هذا بالإضافة

إلى وجود أناجيل كثيرة مرفوضه لأنها تعارض مصلحة الكنيسة).

هناك مدرسة ألمانية تلخص التعاليم عن يسوع بالنقاط التالية:

١ـ إن قصص الأناجيل عبارة عن عناصر متناثرة.

٢ـ عدم اعتبارها مستندات تاريخية.

٣ـ إن مواد الإنجيل تبدو كأنها كتب لتملأ الوظائف في حياة الكنيسة الأولى وحاجاتها[١٥].

ويقول فاستس: إن العهد الجديد ما صنفه المسيح والحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، وقد أذى بذلك الدين إيذاءً بليغًا، فقد ألف كتبًا تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات[١٦]■

١) محاضرات في النصرانية/محمد أبو زهرة/ص٦٤.
٢) اليهودية/د.أحمد شلبي/ص٢٣١.
٣) محاضرات في النصرانية/ص٤٧.
٤) إظهار الحق/الشيخ رحمت الله الهندي/ص٨٠.
٥) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف/د.يحيى محمد علي/ ص٤٠.
٦) رسالة التوحيد/الشيخ محمد عبدة/ص٨٨.
٧) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف/ ص٦٠-٦٢.
٨) لسان العرب/ج٢٤ص٢١١٤.
٩) شفاء الغليل/ص١١.
١٠) م.ن/ص٥٩.
١١) الفهرس العربي الجديد/القس غسان خلف/ص١١٥.
١٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف/١٠٧.
١٣) الأناجيل أصلها وتطورها/ص٢٨-٣٠.
١٤) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/محمد سعيد رمضان/ج٢ص٥٢١.
١٥) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف/ص١٨٢.
١٦) م.ن/ص١٨٥.

الصلاة وقراءة القرآن في شهر رمضان

*** قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير: (شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور له حق وحرمة، أكثر من الصلاة ما استطعت).**

*** عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (لكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان).**

(روضة المتقين/ المجلسي/ ج١٣ ص١٣٥)

*** عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله الصادق عليه السلام: إِذَا جَمَعَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ إِذَا هُمْ بِشَخْصٍ قَدْ أَقْبَلَ لَمْ يُرَ قَطُّ أَحْسَنُ صُورَةً مِنْه فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْه الْمُؤْمِنُونَ وهُوَ الْقُرْآنُ قَالُوا هَذَا مِنَّا هَذَا أَحْسَنُ شَيْءٍ رَأَيْنَا فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِمْ جَازَهُمْ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَيْه الشُّهَدَاءُ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِمْ جَازَهُمْ فَيَقُولُونَ هَذَا الْقُرْآنُ فَيَجُوزُهُمْ كُلَّهُمْ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمُرْسَلِينَ فَيَقُولُونَ هَذَا الْقُرْآنُ فَيَجُوزُهُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَيَقُولُونَ هَذَا الْقُرْآنُ فَيَجُوزُهُمْ ثُمَّ يَنْتَهِي حَتَّى يَقِفَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ وعِزَّتِي وجَلَالِي وارْتِفَاعِ مَكَانِي لأُكْرِمَنَّ الْيَوْمَ مَنْ أَكْرَمَكَ ولأُهِينَنَّ مَنْ أَهَانَكَ).**

(الكافي/ ج ٢ / ص ٦٠٢)

عبد الله أحمد العسيري

حكاية مستبصر

وهابي / اليمن

مولده ونشاته: ولد عام ١٩٧٧م بمدينة المحويت في اليمن، من أسرة زيدية، كان يميل بشكل كبير للوهابيّة، يواصل الآن دراسته في الطبّ.

يقول السيّد العسيري: قررت أن أعيش في ظلّ النظريّة الإلهيّة بأن ألتزم بالمبادئ الإسلامية لضمان سعادتي في كلا الدارين، فسرت على نهج الوهابية وذلك لإعجابي بهم حتى حضرت معهم حلقات الدرس، وكنت أرمي بعقلي حيثما وجدت مخالفة للعقل ـ على أساس أنّ العقل هوى ويجب القضاء على الهوى ـ، وهكذا بدأت أتعمق في فهم تصوراتهم حتى بلغت إلى الاعتقاد بالتجسيم لله سبحانه وتعالى! وذات يوم سمعت أنّ أحد أقربائي قد انتمى إلى التشيّع، فذهبت إليه لعلّي أجد سبيلاً إلى هدايته ـ حسب اعتقادي ـ، فقررت مناقشته في مسائل الأصول التي تمثل القاعدة في بنية العقيدة.

وكانت البداية هي البحث عن التوحيد باعتباره الأصل الأوّل من المسائل الاعتقادية، فالوهابية تعتقد أنّه تعالى بذاته موجود على العرش، وبعلمه يتواجد في كلّ مكان، ولم يكن لي علم بمصدر هذا التقسيم! لكنني كنت أعلم بأنني موظف بإتباع ما يملي عليَّ العلماء من دون مناقشة ذلك، وكان قريبي الشيعي متفتحاً وواعياً لا يقول شيئاً إلاّ عن علم ودراية، فبدأ يسرد لي الآيات التي تنزه الله عز وجلّ عن ذلك.

فحاولت أن أقيّده ليتمسك بظاهر الألفاظ، وأن لا يتخطى، عن دائرة الألفاظ إلى مجال المعاني، فبدأ قريبي يستشهد لدعم تنزيهه جلّ وعلا بالروايات الواردة في هذا الخصوص، ومن هنا دخلنا في موضوع الأحاديث ومصداقية كتب الحديث عند أبناء العامة وحجيتها، فسجّلت نقاط الخلاف بيننا وبين الشيعة، وقررت الرجوع إلى أحد الأساتذة الوهابيين لأحصل على إجابة الإشكالات التي ذكرها قريبي.

وبالفعل ذهبت لأحد الأساتذة وشرحت له: ما جرى بيني وبين قريبي من حوار حول التوحيد، فقال لي الأستاذ: إنّ الله عز وجلّ لو أراد أن يهدي قريبك لهداه، ولكن قَلّ من تشيّع ثم هداه الله! فلم يرق لي جواب الأستاذ، ووجدت أجابته توحي

بعدم قدرته على الردّ. بعد ذلك طلبت من الأستاذ كتاباً حول الشيعة، فأعطاني كتيب (الخطوط العريضة)، فأخذته وطالعته، ثم ذهبت إلى قريبي الشيعي، ورحت أكيل له ولمذهبه التهم التي ذكرها مؤلف الكتيب محب الدين الخطيب، فكان قريبي صبوراً يسمع تهجمي بهدوء وتأنٍّ، وبعد ذلك بدأ يجيب عما وجهت له من أسئلة وشبهات من دون انفعال.

في الحقيقة، إن ما تقوّل به المؤلف في هذا الكتيب ، مجرد تهم حاول إلصاقها بعلماء الشيعة، الذين هم من أحوط الناس وأشدّهم رعاية لحرمة الإسلام والمسلمين، ولا تجري أقلامهم وألسنتهم النزيهة إلّا في مرضاة الله والإصلاح بين المسلمين ـ، ولكن الخطيب لا يريد بذلك سوى الطعن والتجريح وإثارة الفتنة وتفريق الكلمة.

حاول الخطيب في كتيّبه هذا أن يعمق الهوّة ويوسّع الفجوة بين الشيعة وأبناء العامّة، ثمّ يعرض الخطيب خطأً عريضاً آخر من أُفقه الطائفي الضيق، فيدّعي أنّ الشيعة لا يدخلون الفقه السني في دراساتهم! مجرد ادعاء ليس له صحّة في الواقع، فإنّ مدارس الشيعة وحوزاتهم لا تتناول الفقه السني فقط، بل تفسير وعقائد وتاريخ أبناء العامّة بكلّ دقّة وأمانة، وتضعه على طاولة البحث ثم تناقشه لتصل إلى النتائج التي يدعمها الدليل والبرهان من القرآن والسنّة.

وهذه مكتباتهم العامّة والخاصّة تعجّ بمئات الكتب السنّيّة لمختلف الكتّاب، ومنابرهم يذكر فيها آراء أبناء العامة جنباً إلى جنب آراء الشيعة، وتُخضع كافة الآراء للنقد والتحليل، فالشيعة يتناولون في أبحاثهم جميع الآراء بدقة وإمعان، وهم لقوّة ثقتهم بما يذهبون إليه وعدم تعصبهم، لا يخشون على عقائدهم من النقد كما تحاول بعض الطوائف إبعاد أتباعهم عن أفكار وكتب الآخرين.

شنّ الخطيب في كتابه أيضاً حملته المسعورة على الشيعة لعملهم ولإيمانهم بالتقيّة الّتي شرعها الله تعالى في كتابه العزيز، وقاية للمؤمن ومتعلقاته وصيانة لمعتقداته حيثما وجد نفسه لا يقوى على مقاومة أعدائه، والتقيّة في الحقيقة هي إظهار الإنسان ما يغاير باطنه المؤمن به والمطمئن إليه لدفع ما يحيق به من شرور، وهي من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، التي أكّدتها السنة النبويّة المطهّرة، وعمل بها الصحابة والتابعون، كما إنّها موافقة لحكم العقل، فالعقل يأمر صاحبه بتجنّب ما يحتمل فيه الضرر، سواء أكان ذلك في أصول العقائد الإسلامية أم في الأحكام الشرعيّة، بل وحتى في الآداب والأخلاق العامة.

كما أنّ التقية غير مختصة بمذهب معين، وإنما كان سبب تميّز الإمامية بها

للمعاناة الطويلة التي مروا بها من حكّام الظلم والجور، وهذا لا يعني أنّ غيرهم لم يعمل أو لم يقل بها!، فقد ورد عن أئمة المذاهب الأربعة وفقهائهم أقوالاً في مشروعيّة التقيّة، ومنهم الإمام مالك وابن العربي المالكي وابن جزي المالكي وأبو حيان الأندلسي المالكي والسرخسي الحنفي وابن نجيم الحنفي، والإمام الشافعي والكيا الهراسي الشافعي وابن حجر العسقلاني الشافعي وابن قدامة الحنبلي، وابن الجوزي الذي نصّ على جواز الكفر تقيّة عند الإكراه على الكفر، كما قال ابن تيميّة: ولو قدّر أن شخصاً أبطن خلاف ما يظهر من الأقوال لم يكن زنديقاً إلاّ إذا أبطن الكفر، وإلاّ فمن أبطن قولاً يعتقد أنّه دين الإسلام ويناظر عليه لم يكن هذا زنديقاً عند الفقهاء.

وادعى الخطيب بأنّ الشيعة يقولون بتحريف القرآن، وهو افتراءٌ آخر يضاف إلى سلسلة الافتراءات التي حواها هذا الكتيّب، وقد صرح أعلام الإمامية بعدم تحريف القرآن، ومنهم: الشيخ محمّد بن عليّ ابن بابويه الملقّب بالصدوق رحمه الله: والشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي رحمه الله والشيخ أبو عليّ الطبرسي رحمه الله والشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله والسيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمه الله وغيرهم الكثير من الأعلام.

بينما يجد الباحث في كتب أبناء العامّة أنّ أحاديث النقصان والزيادة في القرآن الكريم في كتبهم كثيرة العدد، صحيحة الإسناد عندهم، واضحة الدلالة لا سيّما صحيحي مسلم والبخاري. ومع كلّ هذا يصر الخطيب على عناده، وإنْ دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على التحامل والعصبية القائمة على عدم التتبع.

يقول السيد العسيري: وبعد الأخذ والردّ بيني وبين قريبي تبيّن لي أنّ الشيعة براء ممّا وجّه إليهم، وعرفت أنّهم لا يعتقدون بفضيلة أو منقبة لأئمتهم إلاّ ويعتقدون لرسول الله صلى الله عليه وآله تلك الفضيلة على النحو الأتم والأكمل، فهو صلى الله عليه وآله: لا يعدله أحد عندهم، وأنّ الأئمة مأمورون باتباعه وطاعته كما أطاعه من قبل جدّهم عليّ عليه السلام، وهم الذين اختصهم الله تعالى بعنايته واختارهم ليكونوا حججه على خلقه، ولذلك تمسكوا بهم.

ويضيف العسيري: وبعد مناقشة مواضيع أخرى، كالسقيفة والإمامة وغيرها أهداني قريبي كتاب (المراجعات)، فكان هذا الكتاب بمثابة الضربة القاضية لكلّ معتقداتي ـ الوهابيّة ـ السابقة! وهكذا لم يبق لي مندوحة في السلوك غير انتهاج طريق أهل البيت عليهم السلام.

(نقل بتصرف من: موسوعة من حياة المستبصرين/ج١ص٣٢١)

في فضل الصوم

* روى أبو حمزة الثمالي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن الصائم منكم ليرتع في رياض الجنة، وتدعو له الملائكة حتى يفطر).
* روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (إن المؤمن إذا قام ليله، ثم أصبح صائما نهاره، لم يكتب عليه ذنب، ولم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة، ولم يتكلم بكلمة خير إلا كتب الله له بها حسنة، وإن مات في نهاره صعد بروحه إلى عليين، وإن عاش حتى يفطر كتبه الله من الأوابين).

(المقنعة/ الشيخ المفيد/ ص٣٧٤)

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الصوم جُنّة من النار).
* وقال صلى الله عليه وآله: (الصائم في عبادة، وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغتب مسلماً).
* وقال صلى الله عليه وآله: (إنّ الله تعالى وكّل ملائكة بالدعاء للصائمين، وأخبرني جبرئيل عن ربه سبحانه انّه قال: (ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحد من خلقي إلاّ استجبت لهم فيه).
* قال الصادق عليه السلام: (نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله متقبّل، ودعاؤه مس تجاب).
* قال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: (ما من مؤمن يصوم في شهر رمضان احتساباً إلاّ أوجب الله تبارك وتعالى له سبع خصال: أوّلها يذوب الحرام في جسده، والثانية يقرب من رحمة الله عزّ وجل، والثالثة يكون قد كفّر خطيئة أبيه آدم، والرابعة يهون الله عليه سكرات الموت، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة، والسادسة يعطيه الله تعالى براءة من النار، والسابعة يطعمه الله من طيّبات الجنة).

(تحرير الأحكام/ العلامة الحلي/ ج١ ص٤٥٠)

* وعنه صلى الله عليه وآله، أنه قال: (قال الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك).

(تذكرة الفقهاء/ العلامة الحلي/ ج٦ ص١٨٨)

قصيدة في الحشد الشعبي
((سورُ الإباء))

الشاعر مسلم مصارع الحساني

لازلـت ســـورًا ما أعـزك سورا ... إذ كـان غيرك لـم يكن مذكورا
شعب تنسّـمتَ الحسين مبادئًا ... فمضيت تحتضن الإبـاء عصورا
ولقد تســـــنّمْتَ العُلى بإبائه ... حيث انطلقت ولم تخف محذورا
ووقفتَ لمـّا قد أتـــاك نـداؤه ... فرفعتَ عزمك همة وشـعورا
لبيت دعـوة مرجعيتـــك التي ... رأت البـلاد بداعش مثبـــورا
ولقد أجَبتَ إلى الجهـاد نداءها ... فعبرت في بحر الثبات بحـورا
يا أيها الشـــعب الـذي بدمـائه ... نهض الـعـراق مـؤيـدًا منصورا
لـولا صمودُك في ميادين الوغى ... لتـقحّـمَ البغيُ الأثيـم ثغورا
أبنـاؤك المتألقـــون بصبرهم ... كـلٌ تقدّمَ للفـــداء غيـــورا
هم فتيـة قد أشـرقوا بنضالهم ... بـرؤى الكرامة والـوفـاء بـدورا
قد أعجبوا فرض الجهاد بفعلهم ... وأَمـامَـهم فَـرَّ الـردى مذعورا

* * *

صبرًا أُبـاة الضيم في ميدانكم ... صبرًا كما كـان الحسين صبورا
يامن رشـفتم من رحيق روائـه ... غمر الإبـاء جحـافلًا وصقورا
دكُّـوا بما تجـدون أوكـار العدى ... حتى يبـوءَ بإثمـــه مدحـورا

جيشاً وحشداً للجهاد تقدموا لتؤمّنوا للمسلمات خدورا
وتصدروا ركب الدفاع عن الهدى فلطالما كنتم هناك صدورا
وتوضأوا عند الصلاة لنصركم من عنفوان الرافدين طهورا
وتتبعوا من خانَ عهدَ بلاده وعدى على حرماته مأجورا
فمن أستطال الغدر في أعماقه سيظل مهما ترتجيه كفورا
وتقدموا صفًا منيعًا واحدًا واستأصلوا للأدعياء شرورا
بل إنهم قد صرحوا بفعالهم وبما اكتوت بهم الأنام شرورا
يستهدفون حضارةً وأصالة شمخت بها أمم العراق دهورا

* * *

لله يا وطني المقدس لا أرى لك في العطاء نهاية وفتورا
أنت استبقت الإرتقاء إلى الندى ولقد مضيت إلى البلاء جسورا
وغرست في الفردوس أنوار المنى بربى الشهادة والفداء بدورا
ووضعتهم في كل مشكاة هنا وهناك في كبد السماء بدورا
لا ينطوي علم يرفرف في المدى سبق الكواكب بهجة وظهورا
لا خير في زمر بفرط عتوّهم سلب الضلال عقولهم موفورا
طعنوك يا أمل الكرام من القفا واستمكنوا غور النفاق جحورا
لم تبتلعك النائبات بكيدها أو تزدريك المرجفات غرورا
بلدٌ مراجعه العظام لهم به صولاتهم وهم الأجل حضورا
ستظل يا وطني الحبيب مجاهدًا وتظل ما اشتبك البلاء هصورا
هذا وإن النصر آتٍ بالمنى (ولسوف يلقى الظالمون ثبورا)

في الذاكرة

شهر رمضان

١ وفاة النائب الأول للإمام الحجة عليه السلام عثمان بن سعيد رضي الله عنه سنة ٢٦٧ هـ .

٢ توجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة سنة ٨ هـ .

٢ بداية ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ .

٣ وفاة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٤١٣ هـ .

٤ هلاك زياد بن أبيه (لعنه الله) سنة ٥٣ هـ .

٤ حفر الخندق حول المدينة سنة ٣ هـ .

٦ مبايعة الناس للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنة ٢٠١ هـ .

٦ ضرب النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

٧ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وكافله سنة ١٠ بعد البعثة.

٨ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ .

١٠ وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين.

١٢ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة سنة ٢ هـ .

١٣ هلاك الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥ هـ .

١٤ مقتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي رضي الله عنه على يد مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.

١٥ مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام سنة ٣ هـ.

١٥ حركة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ.

١٧ غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

١٨ ليلة جرح أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة على يد الملعون عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ .

١٨ ليلة القدر (على رواية).

٢٠ ليلة القدر (الرواية الثانية).

٢٠ فتح مكة وصعود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله لتطهير الكعبة من الأصنام سنة ٨ هـ .

٢١ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة سنة ٤٠ هـ .

٢١ البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة سنة ٤٠ هـ .

٢٣ ليلة القدر المباركة (وهي أقوى الروايات).

٢٥ وقوع حرب النهروان بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج سنة ٣٨ هـ .

٢٧ وفاة العلامة المجلسي قدس سره سنة ١١١١ هـ .

في الذاكرة

شهر شوال

١ عيد الفطر المبارك.

١ هلاك عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ.

٤ مقتل المتوكل العباسي سنة ٢٤٧ هـ .

٥ حدوث غزوة حنين سنة ٨ هـ .

٥ خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين سنة ٣٦ هـ .

٥ دخول مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة سنة ٦٠ هـ .

٦ خروج أول توقيع من الإمام المهدي عليه السلام إلى نائبه الأول الحسين بن روح سنة ٣٠٥ هـ.

٨ هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام وقبر حمزة بن عبد المطلب سنة ١٣٤٤ هـ على يد الوهابيين.

١٤ هلاك عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ٨٦ هـ .

١٥ غزوة أحد واستشهاد حمزة بن عبد المطلب سنة ٣ هـ .

١٦ رجوع الشمس من مغيبها لأمير المؤمنين عليه السلام .

١٧ غزوة الخندق سنة ٥ هـ .

٢٠ القبض على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمر هارون الرشيد سنة ١٧٩ هـ .

٢٥ استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ .

٢٥ وفاة المرجع الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره سنة ١٢٨٨ هـ .

وقفة مع الذكرى

وفاة الشيخ المفيد رضي الله عنه

في الثالث من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ

اسمه: هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان ابن التابعي الجليل الشهيد سعيد بن جبير، العكبري البغدادي، المعروف بـ (ابن المعلم) الشهير في الآفاق بـ (الشيخ المفيد).

ولادته: ولد سنة ٣٣٨ هـ في قرية قرب ناحية الدجيل شمال بغداد على الضفة الشرقية لنهر دجلة. نشأ رضوان الله عليه نشأة علمية في بغداد، وإن التاريخ ليطلعنا على أن الشيخ المفيد كان قد بذل جهوداً كبيرةً في طلب العلم واتصاله بالعلماء، وعدم تضييع أي فرصة كان يراها تحقق له سبقاً علمياً ومعرفياً.

عرف بابن المعلم لأن أباه كان معلماً بواسط، كما اشتهر (بالمفيد) فهو الحري بهذا اللقب، لإجماع أهل الفضل وذوي التحقيق من الفريقين على تقدمه على من عاصره وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والأدب، وله قوة العارضة في الجدل والظهور على الخصم.

وكان للدور العلمي البارز الذي قام به المفيد في عصره أثر كبير في اشتهار اسمه وشيوع ذكره، فحفلت كتب الرجال والتاريخ بالترجمة له والتحدث عن سيرته، وساق لفيف من المؤرخين خلال الترجمة كلمات الإطراء وجميل الثناء بما لا مزيد عليه.

وعلى الرغم من الوجاهة والجلالة التي تمتع بها، فقد اضطرت السلطات الحاكمة قمعًا للفتن الطائفية والاضطرابات المذهبية إلى نفيه مرتين إلى خارج بغداد: أولاها في سنة ٣٩٣ هـ إلى الحلة عندما اختلت الأوضاع ببغداد، وثانيتها في سنة ٣٩٨ هـ إلى الحلة أيضًا عندما جرت في عاشر شهر رجب فتنة بين أهل الكرخ والفقهاء في بغداد، وكانت الحلة تحت حكم بني مزيد وبقي هناك مدة من الزمن.

أساتذته ومشايخه: قد حضر شيخنا المعظّم على مجموعة من العلماء الأفذاذ في عصره، ونهل من علومهم وقد عدّهم كثير من أصحاب التراجم والسير قرابة الستين استاذًا، ولا مجال لذكرهم.

تلامذته: كما لا مجال لنا ونحن نترجم لمثل هذه الشخصيات الفذة أن نحصي الأنفس المستفيدة منها، لأن لها في كل زمان من ينهل من عذب علومها، ولكن نذكر مجموعة من العلماء الأفذاذ الذين كان لهم السبق في الانتهال من علومه. فيذكر بعض المؤلفين أن من تلامذته المبرزين: الشريف الرضي والشريف المرتضى والشيخ الطوسي وكثيرون غيرَهم.

مؤلفاته: كان شيخنا المفيد شديداً على أهل البدع والأهواء وحملة الأفكار المنحرفة في زمانه، وكان بعضهم يتفادى مناظرته ويخشى حجاجه. وقد ألزمهم فيها الحجة بالمنطق والدليل الذي لا ينقض.

كما خصّ الإمامة وما يتفرع عنها من بحوث عقائدية وكلاميّة بمجموعة من مصنفاته القيمة، ونحن ذاكرون بعضاً من مؤلفاته بشكل عشوائي، فمنها:

١ـ المقنعة في الفقه.
٢ـ الأركان في دعائم الدين.
٣ـ الإيضاح في الإمامة.
٤ـ الافصاح في الإمامة.
٥ـ الارشاد.
٦ـ العيون والمحاسن.
٧ ـ الرد على الجاحظ والعثمانية.
٨ـ نقض المروانية.
٩ ـ نقض فضيلة المعتزلة.
١٠ ـ المسائل الصاغانية، وغيرها الكثير.

وفاته: توفي رحمه الله في الثالث من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وصلّى عليه الشريف المرتضى. ودفن في داره سنين ثم نقل إلى مقابر قريش بالقرب من الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند القدمين. وقبره الآن معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي.

اهم ما يميزه: رثاه كثيرون بعد وفاته منهم الشريف المرتضي والصوري، ومهيار الديلمي ولكن كان أبرز رثاء ما نسب إلى الإمام الحجة (عج)، حيث وجد عند قبره رقعة مكتوب فيها:

لاصَوَتَالنـاعيبفَقْـدِكَإنَـهُ
يَـوْمٌ عَلى آلِ الرسولِ عظيـمُ
إنْ كُنْتَ قَدْ غُيّبتَ في جَدَثِ الثَرى
فالعلمُ والتوحيدُ فيكَ مُقيمُ
والقائمُ المهديّ يَفْرحُ كُلَما
تُلِيَتْ عَلَيْكَ مِنَ الدُرُوسِ عُلُومُ

(نقل بتصرف من: أعيان الشيعة/ محسن الأمين/ج٩ ص٤٢٣)

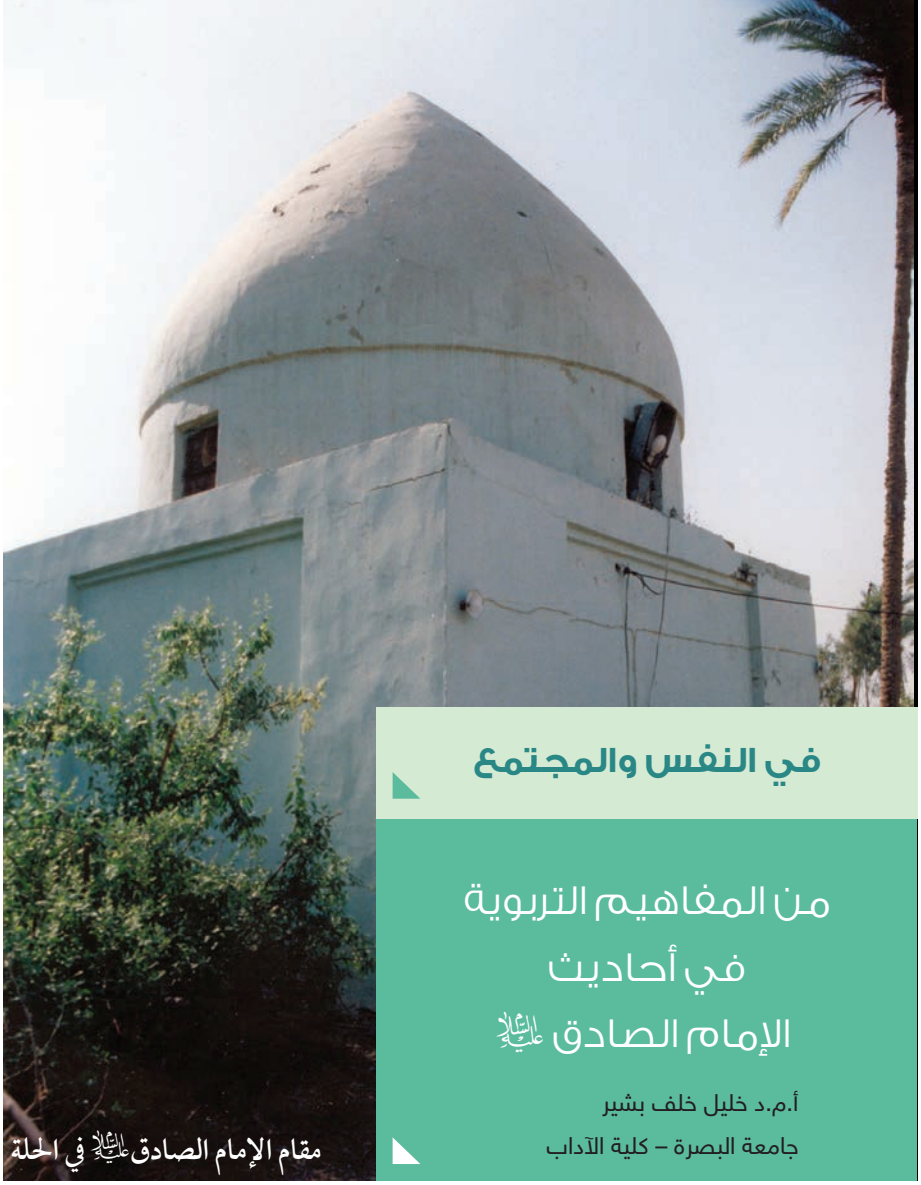

مقام الإمام الصادق عليه السلام في الحلة

في النفس والمجتمع

من المفاهيم التربوية في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام

أ.م.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة – كلية الآداب

تمهيد

من مرويات الإمام جعفر الصادق عليه السلام التي وصلت إلينا أحاديثه المأثورة عنه المكتنزة بالحكم والقيم والمفاهيم التربوية التي يحتاجها الإنسان المسلم في كل زمان ومكان، ويمكن تلمس هذه القيم والمفاهيم التربوية بالآتي:

١-البر وصلة الأرحام: وهما قيمتان تربويتان ضروريتان لبناء الفرد وصيانة المجتمع فهما في نظر الإمام الصادق عليه السلام يهونان الحساب يوم القيامة ويعصمان من الذنب فقد ورد عن إسحاق بن عمار قال: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْد اللّه عليه السلام يَقُولُ إِنَّ صِلَةَ الرَّحِم والْبِرَّ لَيُهَوِّنَانِ الْحِسَابَ ويَعْصِمَانِ مِنَ الذُّنُوبِ فَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ وبَرُّوا بِإِخْوَانِكُمْ ولَوْ بِحُسْنِ السَّلَام ورَدِّ الْجَوَابِ)[١].

وفي حكمة أخرى للإمام يربط بر الأبناء ببر الآباء وعفة النساء بالتعفف عن نساء الناس في قوله عليه السلام: (بَرُّوا آبَاءَكُمْ يَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وعِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ)[٢].

ومن البر الدعوة إلى المبادرة للخير انطلاقاً من قوله تعالى: (**سَابِقُوا إِلَى**

مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد: ٢١) يكون الإنسان في دعوة دائمة لأن يسارع إلى الخير كلما تمثّلت أمامه فرص الخير وألّا يسوف ذلك ويؤخره؛ لأن الخير فرصة عليه ألّا يضيعها، لذلك لا بدّ للإنسان من أن يكون مستنفراً للخير بحيث يعيش حالة طوارئ[٣]. قال الإمام الصادق عليه السلام: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِخَيْرٍ فَلَا يُؤَخِّرْهُ فَإِنَّ الْعَبْدَ رُبَّمَا صَلَّى الصَّلَاةَ أَوْ صَامَ الْيَوْمَ فَيُقَالُ لَه اعْمَلْ مَا شِئْتَ بَعْدَهَا فَقَدْ غَفَرَ اللَّه لَكَ)[٤]، وقال عليه السلام أيضاً: (كَانَ أَبِي يَقُولُ إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ)[٥] فإذا فكّر العبد بأن يتصدق أو أن يقضي حاجة مؤمن أو أن يدخل السرور على قلب إنسان أو يصلي أو يصوم فعليه أن يبادر إلى هذا العمل فربما تكون هذه الساعة من الساعات التي يجري الله فيها نفحاته على عباده فيغفر الله له في هذه الساعة بوساطة هذه النفحات الربانية[٦] فهو عليه السلام القائل: (إِذَا أَرَدْتَ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُؤَخِّرْهُ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَصُومُ الْيَوْمَ الْحَارَّ يُرِيدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَيُعْتِقُه اللَّه به مِنَ النَّارِ وَلَا تَسْتَقِلَّ مَا يُتَقَرَّبُ بِه إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْ شِقَّ تَمْرَةٍ)[٧] فالله تعالى لا يضيع جهد الإنسان العامل **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)** (الزلزلة:٧، ٨) **(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ)** (البقرة:١٩٧)، وكذا قوله عليه السلام: (مَنْ هَمَّ بِخَيْرٍ فَلْيُعَجِّلْه وَلَا يُؤَخِّرْه فَإِنَّ الْعَبْدَ رُبَّمَا عَمِلَ الْعَمَلَ فَيَقُولُ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى قَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَكْتُبُ عَلَيْكَ شَيْئاً أَبَداً وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَا يَعْمَلْهَا فَإِنَّه رُبَّمَا عَمِلَ الْعَبْدُ السَّيِّئَةَ فَيَرَاه اللَّه سُبْحَانَه فَيَقُولُ لَا وعِزَّتِي وجَلَالِي لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَهَا أَبَداً)[٨].

٢- الحث على الصدقة: تعد الصدقات (من أعظم القربات إلى الله وأحبها إليه، وهي بذاتها عمل إنساني فاضل ومشاركة عملية يمارسها الإنسان في تخفيف آلام الفقراء والمعوزين ممن لم تسعهم قدراتهم المعاشية فقصرت بهم خطى العمل عن أن تستوعب احتياجاتهم وضروراتهم الحياتية)[٩]، وتعدّ أيضاً من التكافل الاجتماعي الخاص الذي دعا إليه الإسلام وحثّ عليه، وفيه استحباب مؤكد لتحقيق هذا المبدأ بالقدر الذي يتناسب مع الظروف المعاشة لكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي بل فيه وجوب ولائي أكده أئمة أهل البيت عليهم السلام تشخيصاً لطبيعة الواجبات الاجتماعية التي لم يكن بدّ لأفراد المجتمع المعاصر من الالتزام بها فهو ليس واجباً ثابتاً في أصل الشريعة بيد أنه واجب يضعه ولي الأمر ضمن الصلاحيات والمسؤوليات العامة التي يتحملها تجاه المجتمع، والمصالح التي يشخصها لتحقيق الضمان الاجتماعي للفقراء[١٠].

وينطلق أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الإمام الصادق عليه السلام من مبدأ قرآني في الحث على الصدقة امتثالاً لآيات قرآنية تحث على الصدقة، من ذلك قوله تعالى: **(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** (البقرة: ٢٧١)، وقوله: **(يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)** (البقرة: ٢٧٦)، وقوله **(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ**

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة: ١٠٤) ففي تراث الإمام الصادق عليه السلام الكثير من الأقوال التي تحث على الصدقة، من ذلك قوله: (إنّ صدقة النهار تميث الخطيئة كما يميث الماء الملح، وإن صدقة الليل تطفئ غضب الرب جل جلاله)[١١]، ومثله قوله: (إنَّ صَدَقَةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وتَمْحُو الذَّنْبَ الْعَظِيمَ وَتُهَوِّنُ الْحِسَابَ وصَدَقَةَ النَّهَارِ تُثْمِرُ الْمَالَ وتَزِيدُ فِي الْعُمُرِ)[١٢]، وكذا قوله (الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك والله العبادة في السر أفضل منها في العلانية)[١٣]، وقوله في **المتاجرة بالصدقة:** (إني لأملق أحيانا فأتاجر الله بالصدقة)[١٤]، وقوله: (أنفق وأيقن بالخلف، وأعلم أنه من لم ينفق في طاعة الله ابتلى بأن ينفق في معصية الله عز وجل، ومن لم يمش في حاجة ولي الله ابتلى بأن يمشي في حاجه عدو الله عز وجل)[١٥].

على أنّ الله لا يحتاج إلى إنفاق الصدقة ولا إلى منفقها؛ لأنه تعالى قادر على إغناء الناس فلا يكون فقير واحد محتاجاً إلى الإنفاق لكنه سبحانه جعل البعض فقيراً والآخر غنياً، ومحتاجاً ومنفقاً؛ لكي يكون هناك امتحان وتربية[١٦].

٣- النصيحة لله تعالى: الأمر بالنصيحة هو الإخلاص في التعامل مع المسلمين، والنصح لهم في أداء الأعمال، وتقديم النصيحة لهم والحث على قبولها والرضا بها، والشكر عليها إذا كان فيها تشخيص لعيوب الإنسان، وهو مبدأ من شأنه أن يقوي العلاقات بين الأفراد، وتصنع لها القاعدة القوية القائمة على الإحساس بالمسؤولية والثقة والتفاهم للوصول إلى الحقيقة، ويتم ذلك وفق قواعد الحكمة والموعظة الحسنة[١٧]. قال تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)** (النحل:١٢٥)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُنَاصِحَه)[١٨]، وكذا في قوله: **(يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ النَّصِيحَةُ لَه فِي الْمَشْهَدِ والْمَغِيب)**[١٩]، وكذا في قوله: (عَلَيْكُمْ بِالنُّصْحِ لِلَّه فِي خَلْقِه فَلَنْ تَلْقَاه بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْه)[٢٠]، وقوله: (لا يستغنى المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال، توفيق من الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه)[٢١].

٤- إصلاح ذات البين: لا يخفى ما لإصلاح ذات البين من آثار في توطيد العلاقات الاجتماعية وتقويتها، وإزالة العوائق والمشاكل[٢٢]، وقد ورد الحث على هذا المفهوم في حديث أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن ذلك وصف الإمام الصادق عليه السلام لإصلاح ذات البين بأنها صدقة يحبها الله تعالى في قوله: (صَدَقَةٌ يُحِبُّهَا اللَّه إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وتَقَارُبٌ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا)[٢٣] بل هي أحب عنده من الصدقة في قوله عليه السلام: (لَئِنْ أُصْلِحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِينَارَيْنِ)[٢٤].

ولعل الإمام الصادق عليه السلام قد استوحى هذا المفهوم من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم في قوله: (أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وُلْدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَه كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّه ونَظْمِ أَمْرِكُمْ وصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه وآله يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَام)[٢٥].

ولما كان الكذب من أعظم المحرمات،

ودور إصلاح ذات البين في توطيد دعائم المجتمع فقد جوّز الشارع المقدّس الكذب في مقام الإصلاح بين المؤمنين فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (الْكَلَامُ ثَلَاثَةٌ صِدْقٌ وكَذِبٌ وإِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاس، قيلَ لَه: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا الإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاس؟ قَالَ: تَسْمَعُ مِنَ الرَّجُلِ كَلَاماً يَبْلُغُه فَتَخْبُثُ نَفْسُه فَتَلْقَاه فَتَقُولُ سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ قَالَ فيكَ مِنَ الْخَيْرِ كَذَا وكَذَا خِلَافَ مَا سَمِعْتَ مِنْه)[٢٦].

٥- التراحم والتعاطف والتواصل والتزاور: أخذ الإمام الصادق عليه السلام هذه المفاهيم من القرآن الكريم فقد وصف الله تعالى الجماعة الصالحة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله بأنهم رحماء بينهم في قوله تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ**) (الفتح:٢٩)، وأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**) (المائدة:٥٤)، وأن بعضهم أولياء بعض، في قوله: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**) (التوبة:٧١)؛ لذا أفاد الإمام الصادق عليه السلام من هذه المفاهيم القرآنية موجباً عليهم الاجتهاد في التواصل والتعاطف والتزاور والتراحم في ما بينهم في قوله: (يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الاجْتِهَادُ فِي التَّوَاصُلِ والتَّعَاوُنُ عَلَى التَّعَاطُفِ والْمُوَاسَاةُ لأَهْلِ الْحَاجَةِ وتَعَاطُفُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكُونُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ رُحَمَاءَ بَيْنَكُمْ مُتَرَاحِمِينَ مُغْتَمِّينَ لِمَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْه مَعْشَرُ الأَنْصَارِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله)[٢٧].

وكذا قوله: (تَوَاصَلُوا وتَبَارُّوا وتَرَاحَمُوا وتَعَاطَفُوا)[٢٨]، وقوله: (كُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً مُتَحَابِّينَ فِي اللَّه مُتَوَاصِلِينَ مُتَرَاحِمِينَ)[٢٩]، وقوله: (تَزَاوَرُوا فَإِنَّ فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءً لِقُلُوبِكُمْ وذِكْراً لأَحَادِيثِنَا وأَحَادِيثُنَا تُعَطِّفُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِهَا رَشَدْتُمْ ونَجَوْتُمْ وإِنْ تَرَكْتُمُوهَا ضَلَلْتُمْ وهَلَكْتُمْ فَخُذُوا بِهَا وأَنَا بِنَجَاتِكُمْ زَعِيمٌ)[٣٠].

٦- الخوف من الله: يبدو من كلام الإمام الصادق عليه السلام أن من يخاف الله يجعل الجميع خائفاً منه، ومن لم يخف الله يجعله خائفاً من الجميع. قال الإمام الصادق عليه السلام: (مَنْ خَافَ اللَّه أَخَافَ اللَّه مِنْه كُلَّ شَيْءٍ ومَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّه أَخَافَه اللَّه مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[٣١].

وعنه عليه السلام قال: (يَا إِسْحَاقُ خَفِ اللَّه كَأَنَّكَ تَرَاه وإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاه فَإِنَّه يَرَاكَ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّه لَا يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ وإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّه يَرَاكَ ثُمَّ بَرَزْتَ لَه بِالْمَعْصِيَةِ فَقَدْ جَعَلْتَه مِنْ أَهْوَنِ النَّاظِرِينَ عَلَيْكَ)[٣٢].

٧- رعاية الوالدين ولو كانا كافرين: الوالدان نعمة إلهية كبيرة علينا رعايتها وصونها وتقديسها وتمجيدها في كل حال من الأحوال بل علينا رعاية الوالدين ولو كانا كافرين فعن زكريا بن إبراهيم قال: (كُنْتُ نَصْرَانِيّاً فَأَسْلَمْتُ وحَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام فَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وإِنِّي أَسْلَمْتُ،.... إِنَّ أَبِي وأُمِّي عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وأَهْلَ بَيْتِي وأُمِّي مَكْفُوفَةُ الْبَصَرِ فَآكُونُ مَعَهُمْ وآكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ، فَقَالَ: يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ؟ فَقُلْتُ: لَا

ولَا يَمَسُّونه، فَقَالَ: لَا بَأْسَ فَانْظُرْ أُمَّكَ فَبَرَّهَا فَإِذَا مَاتَتْ فَلَا تَكلَهَا إِلَى غَيْرِكَ كُنْ أَنْتَ الَّذي تَقُومُ بشَأْنِهَا وَلَا تُخْبِرَنَّ أَحَداً أَنَّكَ أَتَيْتَنِي .... فَلَمَّا قَدِمْتُ الْكُوفَةَ أَلْطَفْتُ لأُمِّي وَكُنْتُ أُطْعِمُهَا وَأَفْلِي ثَوْبَهَا ورَأْسَهَا وأَخْدُمُهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا بُنَيَّ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِي هَذَا وأَنْتَ عَلَى دِينِي، فَمَا الَّذي أَرَى مِنْكَ مُنْذُ هَاجَرْتَ فَدَخَلْتَ في الْحَنِيفِيَّة؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ نَبِيِّنَا أَمَرَنِي بِهَذَا، فَقَالَتْ: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ نَبِيٌّ؟ فَقُلْتُ: لَا ولَكِنَّه ابْنُ نَبِيٍّ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ إِنَّ هَذَا نَبِيٌّ، إِنَّ هَذه وَصَايَا الأَنْبِيَاء، فَقُلْتُ: يَا أُمَّه إِنَّه لَيْسَ يَكُونُ بَعْدَ نَبِيِّنَا نَبِيٌّ ولَكِنَّه ابْنُه، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ دِينُكَ خَيْرُ دِينٍ، اعْرِضْه عَلَيَّ، فَعَرَضْتُه عَلَيْهَا فَدَخَلَتْ فِي الإِسْلَام وعَلَّمْتُهَا فَصَلَّت الظُّهْرَ والْعَصْرَ والْمَغْرِبَ والْعِشَاءَ الآخِرَةَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَعِدْ عَلَيَّ مَا عَلَّمْتَنِي، فَأَعَدْتُه عَلَيْهَا، فَأَقَرَّتْ به ومَاتَتْ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ غَسَّلُوهَا وكُنْتُ أَنَا الَّذي صَلَّيْتُ عَلَيْهَا ونَزَلْتُ فِي قَبْرِهَا..)[٣٣].

نستدل من هذه القصة أننا ينبغي أن نحسّن أخلاقنا مع المؤمنين والكافرين حتى نعكس الصورة المثلى والمشرقة عن الإسلام؛ لأن الناس إذا رأوا منّا الأخلاق الطيبة والسلوك الحسن فإن ذلك يكون خير دعوة للإسلام، فإمامنا الصادق عليه السلام يقول: (كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاس بِالْخَيْرِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ لِيَرَوْا مِنْكُمُ الاجْتِهَادَ والصِّدْقَ والْوَرَعَ)[٣٤]، ويقول أيضاً: (كونوا زينا لنا ولا تكونوا شيئًا علينا وأمرونا بأن نفعل ما يقال لأجله رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدب به أصحابه)[٣٥].

٨- الأخوة: انطلق الإمام الصادق عليه السلام لتأسيس نظرية في الأخوة الإيمانية من منظور قرآني، قال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) (الحجرات: ١٠)، ولعل عناية الإمام الصادق عليه السلام بالأخوة دليل على اتجاهه نحو إيجاد مجتمع أو جماعات تتآخى في الإسلام[٣٦] إذ إنّ الهدف من وراء العلاقات الاجتماعية ترسيخ دعائم المجتمع الإسلامي وتقوية البنية الاجتماعية للسير في طريق التكامل الاجتماعي، وتحقيق أسباب القوة والعدل والرفاه والاستقرار، ومواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية وحلها فضلاً عن التكامل الذاتي في حركة الفرد الإنساني نحو الله تعالى[٣٧]، ولذلك يوصينا الإمام الصادق عليه السلام بالإكثار من الإخوان؛ لأنّ المرء كثير بأخيه، فقال عليه السلام (أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحوائج يقومون بها ، وأما في الآخرة فان أهل جهنم قالوا: (**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**) (الشعراء: ١٠٠- ١٠١))[٣٨]، وقال عليه السلام أيضًا: (استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة)[٣٩]■

---

١) الكافي / الكليني ١٥٧/٢.
٢) بحار الأنوار / المجلسي ٢٧٠/٦٨.
٣) ينظر: في رحاب أهل البيت عليهم السلام / السيد محمد حسين فضل الله ٢١٥/٢.
٤) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ٤٦/١.
٥) المصدر نفسه، المكان نفسه.
٦) ينظر: في رحاب أهل البيت عليهم السلام ٢١٥/٢.
٧) الوافي ٣٨٠/٤.
٨) الكافي ١٤٣/٢.
٩) موسوعة المصطفى والعترة – الصادق جعفر – القسم الأول ١١٢/٩.

١٠) ينظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة / شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم ٤٢٦/١-٤٢٩.
١١) الأمالي / الشيخ الصدوق ٤٤٩.
١٢) الكافي ٩/٤.
١٣) الوافي / الفيض الكاشاني ٤٠٢/١٠.
١٤) بحار الأنوار / المجلسي ٢٠٦/٧٥.
١٥) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق ٤١٢/٤.
١٦) ينظر: العلم النافع سبيل النجاة / السيد صادق الشيرازي ٩٦.
١٧) ينظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ٢٢/٢.
١٨) الكافي ٢٠٨/٢.
١٩) المصدر نفسه، المكان نفسه.
٢٠) الكافي ٢٠٨/٢.
٢١) المحاسن / أحمد بن محمد بن خالد البرقي ٦٠٤/٢.
٢٢) ينظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ٢٤/٢.
٢٣) الكافي ٢٠٩/٢.
٢٤) ن.م
٢٥) نهج البلاغة ٧٧/٣.
٢٦) الكافي ٣٤١/٢.
٢٧) الكافي ١٧٤/٢.
٢٨) الكافي ١٧٥/٢.
٢٩) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة/ الحر العاملي ١٨٢/٥.
٣٠) مرآة العقول/المجلسي/ج٩ ص٨٤.
٣١) الوافي ٢٨٨/٤، وينظر: هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ٥٤٠/٥.
٣٢) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار / علي الطبرسي ٢١٢.
٣٣) الوافي ٤٩٩/٥.
٣٤) وسائل الشيعة (آل البيت) / الحر العاملي ١٦٢/١٢.
٣٥) أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ٣٧٤/١٠.
٣٦) ينظر: الإمام جعفر الصادق ٣٢٥.
٣٧) ينظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ٤٧٦/١.
٣٨) وسائل الشيعة/ج٨ص٤٠٨.
٣٩) المصدر نفسه.

في رثاء الإمام الصادق عليه السلام

لما حمل سرير الإمام الصادق عليه السلام وأخرج إلى البقيع ليدفن، قال أبو هريرة الأبار:

أقول وقـــــد راحــوا به يحملونه ... على كاهلٍ من حامليه وعاتقِ
أتدرون ماذا تحمـــلون إلى الـــثرى ... ثبيرًا ثرى من رأس علياء شاهقِ
غداة حثا الحاثون من فــوق قـــبره ... ترابًا وأولى كان فوق المفارقِ
أيا صادق ابن الصادقـــــين إلـــيه ... بآبائك الأطهارِ حلفة صادقِ
لحقا بكم ذو العرش أقسم في الورى ... فقال تعالى الله رب المشارقِ
نجوم هي اثنا عشـــــرة كـــن سبقًا ... إلى الله في علمٍ من الله سابقِ

(أعيان الشيعة/ ج٢ص٤٤١)

في النفس والمجتمع

الجدال بالحسنى
منهج إسلامي رصين

الشيخ الدكتور وفقان الكعبي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

تمهيد

قال تعالى: (**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**..) الجدال بالتي هي أحسن، أو ما نسميه بالحوار والمحاورة الهادفة الهادئة، سواء بين الأفراد أو بين الجماعات أو الشعوب، للتوصل إلى قواسم مشتركة في مواضع الخلاف والاختلاف.

الحوار في الكلام: أي المحاورة. والمحاورة: المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم[1].

والحوار بين الأمم: المجاوبة بين الطرفين، وهناك تداخل في المعنى بين المفاهيم وتقارن بين المحاورة والتحاور، قال تعالى: (**وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**) (المجادلة:٢) والاحتجاج والمناظرة والمجادلة والجدل العلمي.

ومن أسبق ما حدث وجَدَ في الفكر الإسلامي هو المناظرات الكلامية والتي[2] كانت تدور حول الصراع الفكري الذي حدث بين المسلمين في شتى نقاط الخلاف العقائدي والمذهبي بينهم[3].

وهناك تمايز آخر: معرفي، وعلمي بين

الحوار العلمي الهادف والصراع:

فالصراع: غايته نفي الآخر وإفناؤه.

وأما الحوار: غايته الإبقاء على الآخر، وجذبه إلى الصواب بعد إزالة الشبهات العالقة ويكون الحوار هو الأمر المتبادل بين الطرفين.(٤)

الحوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(الحوار من الوسائل المفضلة في أداء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبه يتم إيقاظ العقول والقلوب، وتحريك العواطف والمشاعر، وخصوصًا لمن يبحث عن الحقيقة، فهو يساعد على معرفة مستويات المشاركين في الحوار، وما يطرحونه من شبهات فكرية وسلوكية، فيطالب المحاور غيره بالحجة والدليل، ويعلمه في الوقت نفسه طريقة الاستدلال الصحيح، ويأخذ عليه طريق الادعاء بلا بينة أو ببينة مضطربة. وينبغي أن يكون الحوار في مفهوم أو موقف واقعي، لا في الألفاظ والتعاريف، وأن يبدأ الحوار من القضايا المشتركة ثم إلى القضايا المختلف فيها)(٥).

ولنتأمل سيرة حياة الأنبياء ومهمتهم والأولياء وبيانهم ومواقفهم مع الظالمين والمعاندين من فراعنة زمانهم وعصرهم:

قال تعالى: (**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**) (طه: ٢٤-٣٦)

وقال سبحانه: (**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**) (طه: ٤٤-٤٥).

وجاء في حق النبي ﷺ، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا**) (الأحزاب :٤٥-٤٧).

والحوار وسيلة استخدمها جميع الأنبياء والمرسلين في مسيرتهم، كحوار نوح عليه السلام مع قومه، وإبراهيم عليه السلام مع النمرود، وموسى عليه السلام مع فرعون، وعيسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ورسول الله ﷺ مع المشركين من قريش ومن أهل الكتاب، ومع المسلمين أنفسهم، وأهل البيت عليهم السلام مع حكام زمانهم ومع أئمة المذاهب الأخرى.

ونلاحظ ذلك أيضًا في قوله تعالى للرسول الأكرم ﷺ: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) (النحل: ١٢٥)

والحوار يختلف حسب اختلاف المعتقدات، فهو يتركز على المفاهيم والأفكار مع غير المسلمين، وعلى إثارة العواطف مع المسلمين الذين آمنوا بالإسلام فكرًا وعاطفة وسلوكًا.

فقد كان حوار رسول الله ﷺ مع المشركين حول التوحيد والنبوة واليوم الآخر، أما حواره مع المسلمين فقد كان حول الممارسات العملية بإثارة عواطفهم اتجاه الأفكار والمفاهيم الإسلامية لتجسيدها في الواقع العملي، فحينما (وزع ﷺ الأموال على المؤلفة قلوبهم، اعترض الأنصار وكثر الكلام، فحاورهم رسول

اللّه ﷺ قائلًا:

(إنّي أُعْطي رِجَالاً حَديثي عَهدَ بِكُفْرٍ أتألفهم، أفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللّه؟ فَوَ اللّه لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّه قَدْ رَضِينَا). نلحظ هنا أن رسول اللّه ﷺ مارس أبلغ الفطنة والسياسة في مداراة الناس. فمن جهة عمل - بإعطاء الهدية - على تليين المتظاهرين بالإسلام الذين كانوا يشكلون خطرًا عليه. ومن جهة أخرى كسب قلوب الموالين الذين لم يعطهم شيئا من الغنائم، عبر تعامله المفعم بالعاطفة معهم)[٦]، كل ذلك وفق مبدأ الحوار البناء.

لاشك أن الحوار العلمي والاحتجاجات والمناظرات القائمة على الأسس المنطقية والأخلاقية من أبدع الوسائل للوصول إلى الحقائق والكشف عنها، وقد حث القرآن الكريم على هذه الطريقة من البحث العلمي إذ قال تعالى: (. . . **فَبَشِّرْ عِبَادِ ..الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**. . .) (الزمر : ١٧-١٨) .

ومن السابقين في هذا المضمار هم أئمة أهل البيت عليهم السلام فالكتب الروائية مشحونة بالاحتجاجات العقلية التي دارت بينهم وبين أصحاب المذاهب الفكرية الأخرى من المسلمين وغيرهم في جانبي المعارف الاعتقادية والأحكام الشرعية.

وقد سار علماؤنا رضوان اللّه عليهم على هذا الدرب المنير، فأجروا حوارات ومناظرات مع من يخالفهم في الآراء الاعتقادية والفقهية عبر المشافهة والتخاطب أو التأليف والكتابة، ولم يكتفوا بالمناظرة مع الأشخاص والمفكرين المعاصرين لهم أو السابقين لهم وليس عليهم، بل ربما كانوا هم الذين يثيرون الشبهات، ومن ثم يتصدون للإجابة عليها[٧].

وفيها ما هو في الحوار مع الفرق الأخرى كالرحلة المدرسية، أو مؤتمر علماء بغداد أو المراجعات، وغيرها الكثير. وتأتي تارة بنحو قصصي، وأخرى بشكل المحاورة والجدل وهي مجموعة كثيرة من الكتب والأسفار. وللحوار ثلاثة محاور، هي:

المحور الأول: منهج القرآن في الحوار، وأسس القرآن الكريم للحوار منهجًا وطريقًا، هو تعميق روح الإيمان في نفوس الناس وشرح صدورهم، ويهدف إلى الاقناع والتأثير العقلي بعد توفر شرطين مهمين:

- انفتاح القلوب على فهم ما عند الآخر وإبداء روح المودة وليس الحقد، قال تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّه لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**...) (طه: ٤٣)

- حسن الظن بالآخر الذي يختلف في الرأي أو الموقف، فلا تتهمه وتظن به السوء ومن هنا نتعرف موقف رسول الإنسانية ﷺ مع أسامة بن زيد حين نطق خصمه بالشهادة ولم يقتنع بها زيد.يذكر المجلسي في البحار/ج٢١ص٦٥ (قال زيد: بعثنا رسول اللّه ﷺ في سرية ...فأدركت رجلًا فقال: لا إله إلا اللّه، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال: (أقال: لا إله إلا اللّه، وقتلته؟) قلت: يا رسول اللّه إنما قالها خوفًا من السلاح؟ قال: (أفلا شققت قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟) فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

فالحوار أسلوب متحرك عملي للوصول إلى الحقيقة بالإقناع.

وفي ضوء هذه الفكرة سارت حوارات القرآن الكريم في السنن الاجتماعية التي نقلها عن تفاعل الأنبياء مع الأمم، وهي:

ـ حوار القرآن مع أهل الكتاب اليهود والنصارى وما بينته الآيات الشريفة.

ـ حوار القرآن مع المشركين والاهتمام بإثبات التوحيد والنبوة وتعاليم الإسلام.

وفي كل واحد من هذه الموارد نماذج تطبيقية من الآيات الكريمة.

المحور الثاني: حوار الأديان، الأديان السماوية صدرت من فيض واحد وهو اللّه تعالى المشرع للشرائع لسعادة البشر في الدارين.

فالمحاورة بين الأديان هي الأسلوب الهادئ والرصين لوجود المشتركات في القيم والمفاهيم والتشريع والحكم.

إذاً هناك ثوابت لا تتبدل ولا تتغير في عناصرها الأساسية: العقيدة والتشريع والمقدسات والعبادة.

وينتج التأكيد على جانبين مهمين هما:

- المشتركات العلمية بين الأديان وخصوصًا التوحيد والنبوة وغيرها.
- الدعوة إلى المحبة والسلام والسماح والرحمة والإحسان والعدل.

وفي إدارة دفة الحوار لابد من الحرية التامة والموضوعية النزيهة بغية بيان العقيدة عند الطرفين المتنازعين مع تدعيم كل رأي منهما بالمصادر والمراجع والإقناع الصادق.

وهنا صورة حية للحوار وقبول الآخر من تراثنا الإسلامي وسيرة النبي صلى الله عليه وآله عندما كان في المدينة، وكيفية وصول وفد نجران وجلوسهم في المسجد النبوي وعدم رضا بعض المسلمين وإخراجهم من المسجد، ولكن سماحة الإسلام وخلق النبي صلى الله عليه وآله سمح لهم بذلك وطلب المباهلة معهم.

وهذا درس من سيرته العطرة بأن نجالس هؤلاء ونفهم ما عندهم ونقدم لهم ما عندنا بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولعل من أبرز ما تركه تراثنا الاسلامي في سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين لهم في مضمار الحوار، هو كتاب الاحتجاج للطبرسي بجزئيه، فهو جدير بالدراسة والتأمل والتحليل.

فهي حوارات وأفكار في عصور مختلفة ومع توجهات وأفكار ورؤى مختلفة مع الزنادقة والمشبهة والمجبرة واليهود والنصارى وغيرهم.

وفيها دلالة كبيرة على فتح باب الحوار مع الأديان وهو عمل سيرة قولية وفعلية وتقرير، منها مواقف هشام بن الحكم وجهوده في هذا الجانب.

والحوار الذي دار بين الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وابن أبي العوجاء في الحج بفناء البيت[٨].

وكذلك سيرة فقهاء الطائفة، ولا ننسى منهم آية اللّه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء وكلمته في الأزهر، وجهود الشيخ محمد جواد البلاغي ومعرفته بالديانات الأخرى في الرحلة المدرسية[٩].

المحور الثالث: حوار الحضارات، الحوار الهادف ضرورة إنسانية، وهو حالة عقلائية متطورة تاريخيًا وحضاريًا.

وهذا يتطلب وجود الرغبة في التقارب، وإظهار حسن النية والثقة المتبادلة بين الطرفين كي يتحقق فهم الآخر، واحترام تعاليمه.

إن موضوع الحوار بين الحضارات له أسس وحقائق مهمة:

١- من سنة الحياة الاختلاف والتعدد والتنوع، وهذا يثمر التطور والإبداع.

٢- حوار الحضارات محوره الإنسان، وهو جزء مهم في هذا الكون ولا ينحرف عن الطبيعة الإنسانية.

٣- فالحوار تقليد ثقافي وفكري وعلمي مهم جدًا مارسته الحضارات بينها.

٤- الانتقال الحضاري أمر مألوف في التغيير إذ تضمحل حضارة وتنشأ غيرها حسب الدواعي والظروف.

٥- وحوار الحضارات لا يستغني عن تعاليم الدين، وهي قامت على الدين وباسمه.

فالتنوع الثقافي بين الأمم والشعوب والتعاون الدولي من خلال التقارب بين الثقافات يوصل إلى التحالف بين الحضارات[١٠].

فالقرآن الكريم أول من حاور الآخر في مواضيع شتى وكما أشرنا إليها في التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة وغيرها.

والقرآن هو أول من أسس قاعدة الحوار الحر في جميع أفكاره، فقال تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** (النحل :١٢٥).

فالجدال بالحسنى أو ما نسميه بـ (الحوار) عند المسلمين منهج رصين، والإقناع للآخر والوصول إلى الحقيقة من خلال الانفتاح في الحوار وطرح الأفكار السليمة وتبادل الرأي■

---

١) تاج العروس: ٣١٧/٦.

٢) حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي – صائب عبد الحميد :١٣.

٣) المناظرات في الامامة :١١.

٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:٥٥.

٥) م.ن.

٦) القيادة في الاسلام/الريشهري/ص٢٣٦/ والرواية عن صحيح البخاري : ٣٧/٤.

٧) النجاة في القيامة بإثبات الإمامة ابن ميثم البحراني :٥.

٨) وللمزيد مراجعة الكافي : ٧٧/١ كتاب التوحيد.

٩) الحوار بين الحضارات في الكتاب والسنة :٥٦ محمد الريشهري.

١٠) الحوار بين التأصيل والتنظير – حسن عز الدين بحر العلوم : ٢٢٥.

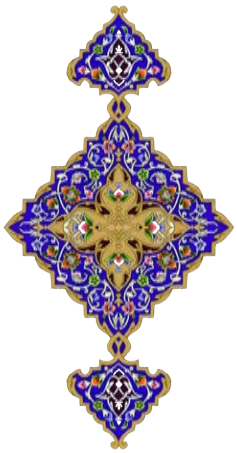

ما يستحب للصائم

* عن أمير المؤمنين عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إن الله تعالى وملائكته يصلون على المستغفرين والمتسحرين (بالأسحار) فليتسحر أحدكم ولو بشربة من ماء ويستحب تأخيره).

* سئل الصادق عليه السلام عن الإفطار قبل الصلاة أو بعدها، فقال: (إن كان قوم يخشى أن يحبسهم عن عشائهم فليفطر معهم، وإن كان غير ذلك فليصل وليفطر).

* عن الباقر عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفطر على الأسودين، قيل: يرحمك الله وما الأسودان؟ قال: التمر والزبيب والماء).

* عن الباقر عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أفطر قال: اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبله منا، ذهب الضمأ وابتلت العروق وبقيَ الاجر.

* وكان الباقر عليه السلام يقول في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار إلى آخره: (الحمد الله الذي أعاننا فصمنا، ورزقنا فأفطرنا، اللهم تقبل منا، وأعنا عليه، وسلمنا فيه، وتسلمه منا في يسر منك وعافية، الحمد لله الذي قضى عنا يومًا من شهر رمضان).

* قال الصادق عليه السلام: (من فطر صائمًا فله مثل أجره).

* قال ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، وكان أجود من الريح المرسلة.

* عن الصادق عليه السلام قال: (في تسع عشرة في شهر رمضان التقدير، وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء، وفي ليلة ثلاث وعشرين إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها، ولله ان يفعل ما يشاء في خلقه).

* قال الصادق عليه السلام: (إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثم قال: قالت مريم إني نذرت للرحمن صوما، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا).

* سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تساب جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام فقال: كُلي، فقالت: إني صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب).

(تذكرة الفقهاء/ العلامة الحلي/ ج١ ص٢٨٥)

للفضيلة نجومها

أبو حمزة الثمالي حياته. وثاقته. علمه ومؤلفاته

لينا أمير عبد الحسين
الجامعة الإسلامية

ينابيع

حين يحل علينا شهر رمضان المبارك كل عام، يحل موسم الابتهال إلى الله والانقطاع إليه وتلاوة الكتاب والتضرع إلى الله بالأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، ومن الأدعية المشهورة المأثورة التي تقرأ في أسحار شهر رمضان دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المشهور باسم دعاء أبي حمزة الثمالي الذي اقترن اسمه باسم راويه. وهذه الظاهرة تكررت مع عدد من أصحاب الأئمة عليهم السلام مثل دعاء كميل المروي عن الإمام علي عليه السلام، ودعاء أم داوود المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

وهنا سنسلط الضوء على (أبي حمزة الثمالي) لنتعرف عليه وعلى علاقته بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وعلى علمه ومكانته لدى الفريقين.

حيث أخذ العلماء الأعلام من السنة والشيعة الرواية عن أبي حمزة الثمالي (رحمه الله) ورووا عنه واستدلوا بروايته لشدة وثاقته، فأخذوا عنه الرواية في تفسير القرآن واستدلوا بها ووثقوها في كتبهم.

اسمه وكنيته ولقبه

ثابت بن أبي صفية الملقب بـ (أبي حمزة الثمالي)، واسم أبي صفية دينار، مولى، كوفي، ثقة، وكان آل المهلب يدعون ولاءه وليس من قبيلتهم، قال محمد بن عمر الجعابي[١]: (ثابت بن أبي صفية مولى المهلب بن أبي صفرة. وأولاد أبي حمزة هم: نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد الشهيد رضي الله عنه، لقي أبو حمزة الثمالي الأئمة علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام وروى عنهم، وكان من خيار أصحابهم، وثقاتهم، ومعتمديهم في الرواية والحديث. وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه)[٢].

وقال الشيخ الصدوق[٣]: (أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي، ودينار يكنى أبو صفية، وهو من حي (طي)، ونسب إلى ثمالة، لأن داره كانت فيهم).

ويكنى بـ (أبي حمزة) وهي الكنية التي غلبت على اسمه واشتهر بها، وقد وردت في أسانيد أكثر الروايات من كتب الفريقين.

و(حمزة) أكبر أبنائه، استشهد هو وأخواه: نوح، ومنصور، مع زيد بن علي عليه السلام في ثورته[٤].

ويكنى بـ (ابن أبي صفية)، وردت هذه الكنية في كتب الحديث والرجال مقرونة باسمه (ثابت بن أبي صفية) وهكذا عنونه محدّثو السنّة في كتب الرجال والترجمة[٥].

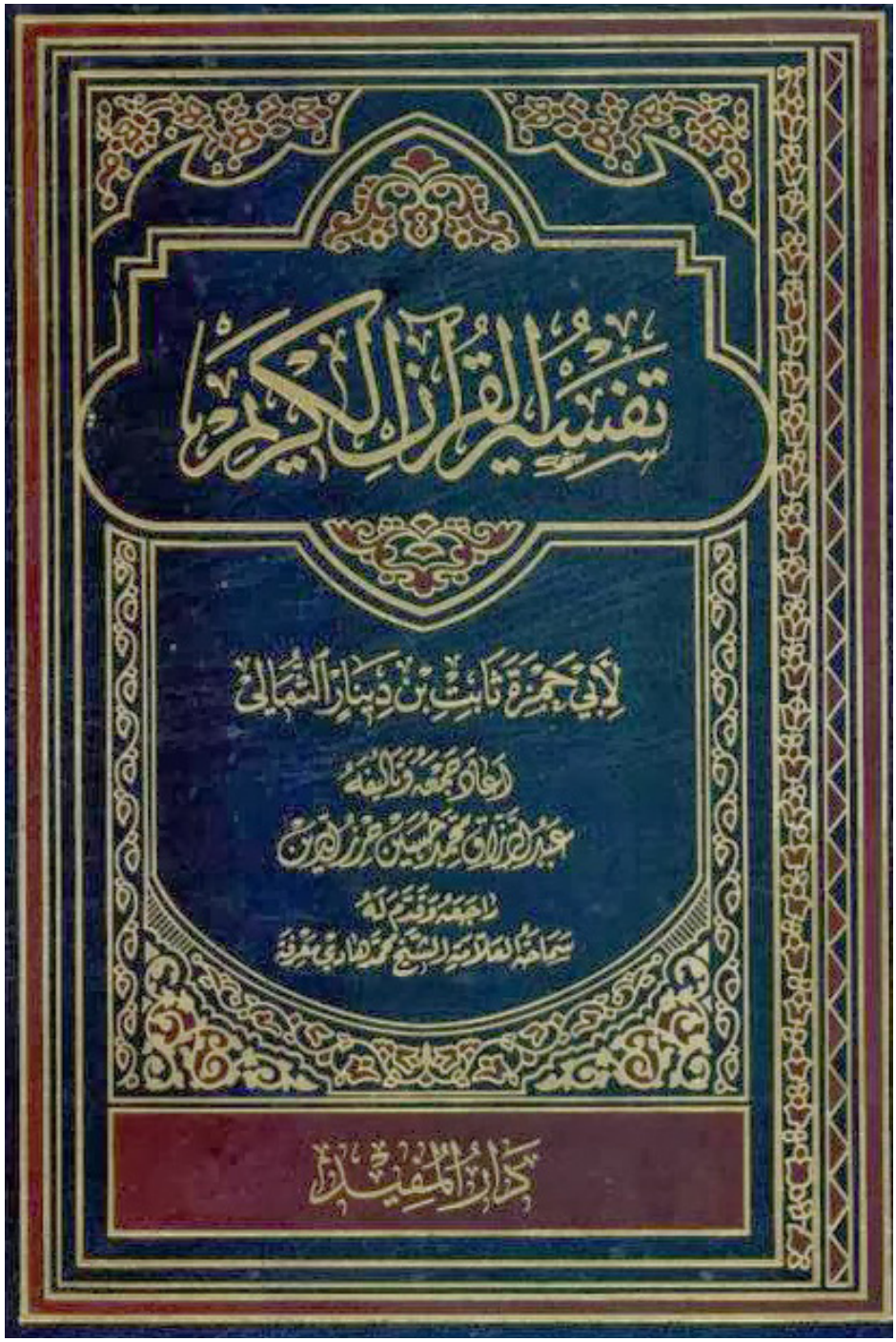
تفسير القرآن الكريم
لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي
أعاد جمعه وتأليفه
عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين
راجعه وقدم له
سماحة العلامة الشيخ محمد هادي معرفة
دار المفيد

مثل النسائي[٦]، وابن أبي حاتم[٧]، والذهبي[٨] وابن حجر[٩].

نسبه

ورد في كتب الرجال والترجمة أنّ أبا حمزة الثمالي (عربي).

ووصفه جمع من الأعلام منهم: الشيخ الكشي[١٠]، والشيخ الطوسي[١١]: بأنه (أزدي ثمالي). ووصفه أحمد بن عدي(١٢) بأنه (أزدي)، والذهبي[١٣]، بأنه (ثمالي)، ووصفه ابن حجر[١٤] والمزّي[١٥] بأنه: (ثمالي أزدي مولى المهلّب بن أبي صفرة).

تاريخ ولادته وعمره

لم يرد في النصوص التاريخية ذكرٌ لتاريخ ولادة أبي حمزة، ويمكن تحديد عمره بشكل تقريبي من الروايات، حيث أنّه أدرك فترة إمامة علي بن الحسين السجاد عليه السلام والتي ابتدأت بشهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام عام (٦١هـ)، والذي يظهر منها أنّ أبا حمزة كان راشداً في حينها، وأدرك أيضاً فترة إمامة الإمام الصادق عليه السلام والتي امتدت حتى عام ١٤٨هـ، للخبر الذي تلقى فيه نبأ وفاة الإمام الصادق عليه السلام. وعليه يكون عمره قد قارب المائة والعشرين عاماً إن لم يكن قد تجاوز ذلك أي إن ولادته (رحمه الله) كانت في حدود سنة (٣٠ إلى ٤٠هـ).

مكانته ومنزلته عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

أبو حمزة الثمالي أحد الأوائل الذين تربّوا في كنف أئمة أهل البيت عليهم السلام وأخذوا الحديث عنهم ونهلوا من علومهم، وقد أصبحت له بذلك منزلة سامية ومكانة بارزة بين أصحابهم. وقد مدح الأئمة عليهم السلام أبا حمزة لقوّة إيمانه وثبات عقيدته وموالاته لهم، فقال الإمام الرضا عليه السلام: (أبو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان في زمانه، وذلك أنه قدم أربعة منـّا، علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وبرهة من عصر الإمام موسى الكاظم عليه السلام)[١٦].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في حقه:(كذلك يكون المؤمن إذا نوّر الله قلبه فكان علمه بالوجه)[١٧].

إنّ أبا حمزة كان معتمد الأئمة في مناظرة المخالفين والاحتجاج على الخصوم، فقد عاصر أبو حمزة الثمالي الفترة التي استحكمت خلالها في المجتمع الإسلامي بعض الجماعات والفرق المختلفة، كالمرجئة والخوارج، فتصدّى أصحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم أبو حمزة الثمالي لتلك الجماعات ودخلوا معها في مناظرات واحتجاجات، لتفنيد آرائها ونصرة المذهب الحق. وإن أبا حمزة الثمالي كان من ثقاتهم لدى الناس وقت الأزمات وعند تعرّض آل البيت عليهم السلام للاضطهاد والتنكيل، فقد شهد أبو حمزة دعوة زيد بن علي عليه السلام بالكوفة وعاش أحداثها وخذلان من بايعه. قال الإمام الصادق عليه السلام: (يا أبا حمزة، هل شهدت عمّي ليلة خرج؟ قال: نعم)[١٨].

وعندما أوصى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بإخفاء قبره خشية تعدّي أعدائه عليه ونبشه[١٩]، وبقي قبره الشريف سرّاً بين أبناء الإمام عليه السلام لم يطلعوا عليه أحداً إلا الخواص من شيعتهم، وكان أبو حمزة الثمالي أحد الخواص الذين عرفوا ذلك، فقد أطلعه الإمام علي بن الحسين عليه السلام ثم ابنه زيد الشهيد عليه السلام على مكان قبر جدّهم أمير المؤمنين عليه السلام ولعله شهد الإشارة الأولى لتعيين مرقد الإمام علي عليه السلام، فقد ذكر الإمام علي بن الحسين عليه السلام في

حديث لأبي حمزة: (هل لك أن تزور معي قبر جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: أجل، فسرت في ظل ناقته يحدّثني حتى أتينا الغريين وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً فنزل عن ناقته ومرّغ خدّيه عليها وقال: يا أبا حمزة هذا قبر جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام ثم زاره بزيارة....)[٢٠].

رحلاته وطلبه للعلم

لقد اهتم أبو حمزة الثمالي بطلب العلم والتزم بوصايا الأئمة عليهم السلام وإرشاداتهم وحثّهم له على طلب العلم والتعلم.

قال أبو حمزة: قال لي أبو عبد الله عليه السلام : (اغْدُ عَالماً أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ أَحبَّ أَهْلَ الْعِلْمِ ولَا تَكُنْ رَابِعاً فَتَهْلِكَ ببُغْضِهِمْ)[٢١].

وتنقل لنا بعض الأخبار مدى التزامه رحمه الله بتعاليم الأئمة عليهم السلام، وجدّه في طلب العلم ودأبه على تدوينه وضبطه.

وورد أن أبا حمزة كان مواظبًا على السفر كل عام من بلدته الكوفة لأداء فريضة الحج، والالتقاء بأئمة أهل البيت عليهم السلام، والوقوف على آرائهم في مختلف المسائل، والتزوّد من علومهم.

وقال أبو حمزة: (كنت أزور علي بن الحسين عليه السلام في كل سنة مرة في وقت الحج)[٢٢].

وله أيضًا مع الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام موقف ذكره الكليني بإسناده إلى أبي حمزة رحمه الله، يدل على اتصاله به والاغتراف من معين علمه [٢٣].

فكان من ثمرة سعيه واجتهاده في طلب العلم أن تكون له مجموعة كتب، وتراث حديثي ضخم. وفي مجال نشر العلم وتعليمه، فقد كانت لأبي حمزة رحمه الله حلقة من فقهاء الكوفة يروي لهم ويلقي إليهم علومه.

وكان رحمه الله يسأل الإمام عن كل مسألة وعن كل صغيرة وكبيرة ترد على مسامعه فلا ينفك يترك شيئًا حتى يعرفه.

أبو حمزة الثمالي وإمامة أهل البيت عليهم السلام

إنّ الإمامة هي الامتداد الطبيعي للنبوة والجزء المتمم لاستمرار الرسالة، هكذا فهمها الشيعة قديمًا وحديثًا، واعتقدوا بها أصلًا من أصول الدين، واستدلوا بالدليل تلو الدليل من الكتاب والسُنّة والعقل.

بَيّنَ أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصاياهم، وجوب الاعتقاد بالإمامة ومعرفة الإمام، والرجوع إليه في شؤون الدين والدنيا، وهكذا كانت وصاياهم لأبي حمزة الثمالي.

قال أبو حمزة رحمه الله: قال لي الإمام الباقر عليه السلام: (إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّه مَنْ يَعْرِفُ اللَّه فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّه فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلَالًا، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّه؟ قَالَ تَصْدِيقُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ وتَصْدِيقُ رَسُولِه صلى الله عليه وآله ومُوَالَاةُ عَلِيٍّ عليه السلام والْأَئِمَّةِ بِه وبِأَئِمَّةِ الْهُدَى عليهم السلام والْبَرَاءَةُ إِلَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرَفُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ)[٢٤].

وفي بيان شأن الإمامة يقول أبو حمزة: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو جالس على الباب الذي إلى المسجد وهو ينظر إلى الناس يطوفون فقال: (يا أبا حمزة بما أمروا هؤلاء؟ قال: فلم أدر ما أردّ عليه، قال: إنما أُمروا أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم يأتوننا فيُعلمُونا ولايتهم)[٢٥].

اللقاء الأول لأبي حمزة بعلي بن الحسين عليه السلام

روي عن أبي حمزة رحمه الله: (إِنَّ أَوَّلَ مَا عَرَفْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلاً دَخَلَ مِنْ بَابِ الْفِيلِ [٢٦] فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَتَبِعْتُهُ.... (فسأل عنه فقيل له) هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ

عَلَيْه وقُلْتُ لَه: مَا أَقْدَمَكَ بِلَاداً قُتِلَ فِيهَا أَبُوكَ وجَدُّكَ؟ فَقَالَ زُرْتُ أَبِي وصَلَّيْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِد)[٢٧].

ومن خلال كلام الإمام عليه السلام وسلوكه وطريقته عَلِمَ أبو حمزة أن الرجل ليس كالرجال ومصلٍ ليس كالمصلّين لذلك تعلّق أبو حمزة بالإمام عليه السلام من أول نظرة حظي بها. ودأب أبو حمزة الثمالي على ملازمة الإمام زين العابدين عليه السلام في مواقف عبادته والانتباه إلى حركاته وتقلّبه في محرابه، وحفظ ما يصدر عنه من أدعية ومناجاة.

وكان أبو حمزة يسأل الإمام عليه السلام بعد فراغه من عبادته بغية الاقتداء به وحرصاً منه على تصحيح وتقويم عبادته، ثم رواية ذلك لخواصّ الشيعة لأن سنة المعصوم عليه السلام هي سنّة جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا الذي دعاه إلى التعلق بالإمام والانتباه لتلك المواقف والتعلم من فيضها.

وقد علم الإمام عليه السلام أنّ أبا حمزة الثمالي رحمه الله كان أهلًا للمرافقة والصحبة، لذلك صار أبو حمزة من خواص شيعته، فترى الإمام حينًا يبتدئه بحديثه وأخرى أبو حمزة يبادره بسؤاله.

مصاحبة أبي حمزة للأئمة عليهم السلام

لذلك لم تكن ملازمة أبي حمزة للإمام زين العابدين عليه السلام واتباعه مقتصرة على مجال عبادته بل امتدت لتشمل كل ما يتعلّق بسيرته وسلوكه، طيلة أيام حياته.

الثمالي عند علماء الشيعة

لقد حظي أبو حمزة بإدراك عدد من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكان من خواص أصحابهم، ومحلّ اعتماد علماء الشيعة في رواية الحديث، وموثقًا عندهم ولم تخلُ كتب الرجال والترجمة من ذكر أبي حمزة، ومن أقوالهم فيه رحمه الله: قال الشيخ الصدوق رحمه الله: ثقة عدل[٢٨]. وقال ابن النديم: من النجباء الثقات[٢٩]. وقال النجاشي: ثقة[٣٠]. وقال الشيخ الطوسي: ثقة[٣١]. وقال العلامة الحلي: ثقة[٣٢].

الثمالي عند علماء الجمهور

لم يتفق علماء الجرح والتعديل من أهل السنّة ومحدّثيهم على تضعيف أبي حمزة وتوهين حديثه والطعن فيه. فمنهم من ضعف أبي حمزة وطعن في حديثه لا لشيء في حديثه وإنما لاتباعه مذهب أهل البيت عليهم السلام وتمسكه بهم. ولكن الكثير من محدّثي وعلماء أهل الجمهور لم يذعنوا للقدح الوارد في أبي حمزة الثمالي من علماء الرجال من أهل الجمهور ولم يقوموا بتوهين حديثه، بل على العكس فقد رووا عنه في مختلف الأبواب وفي تفسير القرآن أيضًا ومنهم: الطبري، والحاكم النيسابوري، والثعلبي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي، وأبو حيان الأندلسي، والبغوي، وأبو الفرج الأصفهاني والبيهقي، وغيرهم.

مؤلفاته

كان لأبي حمزة الثمالي مؤلفات منها: (كتاب النوادر وكتاب الزهد) ذكرهما الشيخ الطوسي[٣٣]. وله (كتاب تفسير القرآن ورسالة الحقوق) ذكرهما النجاشي[٣٤].

وفاته

اختلف المحدّثون وعلماء الرجال والترجمة في سنة وفاة أبي حمزة الثمالي، فذكر الصدوق[٣٥]، والنجاشي[٣٦]، والشيخ الطوسي[٣٧] أنها كانت سنة ١٥٠هـ. وقال الذهبي[٣٨]، إنه توفي سنة ١٤٨هـ .

ولمعرفة تاريخ وفاته رحمه الله نستعرض هذه الرواية: قال داود بن كثير

الرقي: (وفد من خراسان وافد يكنّى أبا جعفر... فورد الكوفة، وزار أمير المؤمنين ورأى في ناحية رجلًا وحوله جماعة، فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء ويسمعون من الشيخ، فسألهم عنه فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي.

قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل إعرابي فقال: جئت من المدينة وقد مات جعفر بن محمد عليه السلام فشهق أبو حمزة وضرب بيده الأرض...))[٣٩].

وبوصول خبر وفاة الصادق عليه السلام إلى أبي حمزة الثمالي، سنلخص بنتيجة وهي إن أبا حمزة قد عاش إلى العام الذي توفي فيه الإمام الصادق عليه السلام وهو عام ١٤٨هـ، والذي أجمع أرباب التواريخ أن الإمام الصادق عليه السلام توفي فيه...وإن وفاته رحمه الله حصلت بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام من عام ١٤٨هـ، وبناءً على ذلك فيمكننا القول إن أبا حمزة قد أدرك برهة من إمامة موسى الكاظم عليه السلام ولكنه لم يدرك شخصه في إمامته■

---

١) من مشايخ الشيخ المفيد. أنظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطهراني: ١٠٣/١٠.
٢) رجال النجاشي/٨٢/١.
٣) من لا يحضره الفقيه: ٤٤٤/٤.
٤) ينظر: رجال النجاشي: ٨٢/١.
٥) ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال/الجرجاني: ١٣١/٥. أنظر: رجال النجاشي: ٨٢/١.
٦) رجال النجاشي: ٨٢/١.
٧) الجرح والتعديل/الرازي:٤٥٠/١.
٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال/الذهبي: ٣٦٣/١.
٩) العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٧/٢.
١٠) رجال الكشي: ٤٥٥/٢.
١١) رجال الطوسي: ٨٤ ـ ١١٠ ـ ١٦٠.
١٢) الكامل في ضعفاء الرجال/الجرجاني: ٩٣/٢، الحديث ٣١١.
١٣) الكاشف/ الذهبي : ١١٦/١.
١٤) تهذيب التهذيب/ العسقلاني: ٧/٢.
١٥) تهذيب الكمال/ المزي: ٤ / ٨١٩.
١٦) رجال الطوسي: ٤٥٨/٢، الحديث ٣٥٧. انظر: معجم رجال الحديث/الخوئي: ٢٠٨/٤.
١٧) الخرائج والجرائح:٣٢٨/١، الحديث ٢٢.
١٨) تهذيب الأحكام/الطوسي: ٣٧/٦، الحديث ٢٠.
١٩) وسائل الشيعة/ الحر العاملي : ٣١٦/١٠.
٢٠) ينظر: فرحة الغري/ابن طاووس : ٥٨.
٢١) المحاسن/ البرقي : ٢٢٧ / الحديث ١٥٥.
٢٢) فرحة الغري/ ابن طاووس: ١١٥.
٢٣) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب/ محمد هادي معرفة : ١٤/١٦.
٢٤) الكافي/للكليني: ١٨٠/١، الحديث ١.
٢٥) علل الشرائع/الصدوق: ٤٠٦/٢، الحديث ٨.
٢٦) باب الفيل: هي أحد أبواب مسجد الكوفة كانت تسمى باب الثعبان، وقصتها مشهورة.
٢٧) ينظر: أصول الكافي/للكليني: ٢٥٥/٨، الحديث ٣٦٣.
٢٨) من لا يحضره الفقيه/الصدوق: ٤٤٤/٤.
٢٩) الفهرست/الطوسي: ٧٠.
٣٠) رجال النجاشي: ١ / الترجمة ٢٩٤.
٣١) الفهرست: ٧١.
٣٢) رجال العلامة الحلي: ٢٩ / الترجمة ٥.
٣٣) ينظر:الفهرست: ٩٠.
٣٤) ينظر: رجال النجاشي: ١١٦ / الترجمة ٢٩٦.
٣٥) من لا يحضره الفقيه/الصدوق: ٤٤٤/٤.
٣٦) رجال النجاشي: ١ / ٢٩٤.
٣٧) رجال الطوسي: ١٦٠.
٣٨) تاريخ الإسلام/ الذهبي : ٨٤.
٣٩) ينظر:الخرائج والجرائح، القطب الراوندي : ٣٢٨/١، الحديث٢٢.

للفضيلة نجومها

في ذكرى وفاته

عثمان بن سعيد العَمري (ت ٢٦٥ هـ) ... أوثق الوكلاء وأول السفراء

د. علي عبد الزهرة الفحام

ينابيع

هو أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عمرو، الأسدي، يعرف بالعَمري نسبة إلى جدِّه، ويقال إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام لقّبه بهذا اللقب حتى يكسر كنيته؛ لأنه كره عليه أن يجمع اسم عثمان وكنية أبي عمرو[١].

من ألقابه (العسكري): نسبة إلى منطقة العسكر في سامراء، ويعرف أيضاً بالسَمان أو الزيات؛ نسبة إلى مهنته في تجارة السمن والزيت[٢]، وأطلق عليه التستري في قاموسه لفظ (الدهان)[٣] ولم أجده في المصادر القديمة، عمل عثمان بن سعيد بمهنة بيع السمن والزيت لغرض التغطية على أمره، إذ كان ينقل الكتب والرسائل والتوقيعات في زِقاق السمن خوفاً من اكتشافها من أجهزة السلطة وعيونها المكلفين برصد تحركات الأئمة ومن يتصل بهم من وجوه الشيعة ورجالاتها.

ليس بين أيدينا تاريخ محدد لولادة عثمان بن سعيد العمري إلا أن الذي وصلنا من النصوص أنه خدم أبا الحسن الهادي عليه السلام وهو في سن الحادية عشرة بحسب الشيخ الطوسي في رجاله[٤]، لذلك فإننا نرجح أن تكون ولادة عثمان بن سعيد بين ٢١٠هـ و٢٢٠هـ، باعتبار أن الإمام الهادي عليه السلام تسلم الإمامة بحدود سنة ٢٢٠ هـ، فيحتمل أنه تشرف بخدمته بين ٢٢٠ و٢٣٠ هـ، ثم صار من وكلاء الإمام العسكري عليه السلام، وهو

أول الوكلاء الأربعة الممدوحين المتفق على عدالتهم وأمانتهم وجلالتهم، نص عليه الإمامان الهمامان: أبو الحسن علي بن محمد، وأبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام.

أما وفاته فمن المرجّح أنها كانت بحدود ٢٦٥هـ أي بعد خمس سنوات من الغيبة الصغرى[٥]، وقد نعاه الإمام المهدي (عج) بعبارات بليغة تدل على جلالة قدره وسمو منزلته عند أهل البيت عليهم السلام.

خلف عثمان بن سعيد اثنين من الأولاد: محمد (وهو السفير الثاني) وأحمد، وقد ورد في الآثار أنه لما مات الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام حضر غسله عثمان بن سعيد رضي الله عنه، وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره، مأموراً بذلك من الإمام المهدي عليه السلام [٦]، وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد عليه السلام بالأمر والنهي، والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد (رحمه الله ورضي عنه) وغسله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به وصار الأمر كله مردوداً إليه[٧].

دفن الوكيل والسفير عثمان بن سعيد العمري في بغداد في جانب الرصافة قرب نهر دجلة في الجانب الغربي من سوق الميدان، قبالة مسجد كان يُعرف بمسجد (الدرب)، وقد ذكر الشيخ الطوسي أنه رآه وزاره منذ دخوله بغداد سنة ٤٠٨هـ، وحتى ما بعد سنة ٤٣٠هـ، قال: (رأيت قبره... وكان بُنيَ في وجهه حائط وبه محراب المسجد، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر، في بيت ضيق مظلم، فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرة، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد، وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة. ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج، وأبرز القبر إلى برا[٨]، وعَمَلَ عليه صندوقاً، وهو تحت سقف يدخل إليه من أراده ويزوره، ويتبرك جيران المحلة بزيارته ويقولون هو رجل صالح، وربما قالوا: هو ابن داية الحسين عليه السلام ولا يعرفون حقيقة الحال فيه، وهو إلى يومنا هذا - وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة - على ما هو عليه)[٩]، وذكر السيد حرز الدين أنه زاره سنة ١٣٨٧ هـ ، وكان كُتب على بابه في سوق الميدان: (هذا مسجد نائب الإمام عليه السلام عثمان بن سعيد العَمْري العسكريّ ، سنة ١٣٤٨ هـ)[١٠]، وهو اليوم مرقد عامر تتبرك به الناس يقع في منطقة باب المعظم مقابل وزارة الدفاع العراقية.

لقد كان لعثمان بن سعيد دور عقائدي كبير في تثبيت الشيعة على العقيدة الحقة مع بروز استحقاق الغيبة بوفاة الإمام العسكري عليه السلام سنة٢٦٠هـ، وبحسب التاريخ الذي قربناه، فقد عاصر العَمري الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام ما يزيد على ثلاثين عاماً، وهي مدة كانت كافية لترسيخه كأحد رجالات الصف الأول من الشيعة، وأحد الوكلاء الثقات الذين لهم باع طويل وخبرة تراكمية في إدارة العمل الميداني بكل تعقيداته الفكرية والسياسية والأمنية، فلم يكن أحد من الشيعة في حواضر التشيع المعروفة آنذاك يجهل قدر عثمان بن سعيد أو يشكك في إخلاصه وحسن بلائه وقوة شخصيته، ولهذا نجح العمري بشكل كبير في امتصاص الصدمة التي

خلفها غياب الإمام المهدي عن الجماهير الشيعية، وما أن علمت الشيعة أن المفزع لأبي عمرو عثمان بن سعيد العمري حتى استعادت هامشاً كبيراً من وعيها وثباتها الذي دخل مرحلة التحدي الكبرى مع بدء الغيبة الكبرى، وهذا الأمر يفسر لنا بوضوح غياب المدعين للسفارة وانحسار الهزات الارتدادية المنحرفة عن الساحة الشيعية طيلة مدة السفارة الأولى التي امتدت خمس سنين تقريباً (٢٦٠-٢٦٥ هـ)، ولم تظهر السفارات الكاذبة إلا في زمن العمري الابن (محمد بن عثمان).

وثاقته

لا يختلف اثنان من الشيعة في وثاقة أبي عمرو عثمان بن سعيد، وليس تزيده أقوال الرجال شرفاً أو رفعة بعد ما استفاضت الأخبار عن ثلاثة من الأئمة الأطهار عليهم السلام بمدحه والثناء عليه وبيان ما كان عليه من صحة الاعتقاد، وحسن البلاء في سبيل الحق ونصرة أهل البيت عليهم السلام وخدمة شيعتهم.

ونحن ذاكرون إن شاء الله ما ورد بحقه من المدح والثناء:

١. الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام: وردت عنهما روايات عديدة منها:

أولاً: أورد الشيخ الطوسي في غيبته بإسناده عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمتثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه). فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه). قال أبو محمد هارون: قال أبو علي: قال أبو العباس الحميري: فكنا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبي عمرو.

ثانياً: وعن عبد الله بن جعفر قال: حججنا في بعض السنين بعد مضي أبي محمد عليه السلام فدخلت على أحمد بن إسحاق بمدينة السلام فرأيت أبا عمرو عنده، فقلت إن هذا الشيخ وأشرت إلى أحمد بن إسحاق، وهو عندنا الثقة المرضي، حدثنا فيك بكَيت وكَيت، واقتصصت عليه ما تقدم يعني ما ذكرناه عنه من فضل أبي عمرو ومحله، وقلت: أنت الآن ممن لا يشك في قوله وصدقه فأسألك بحق الله وبحق الإمامين اللذين وثقّاك هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان عليه السلام؟ فبكى ثم قال: على أن لا تخبر بذلك أحداً وأنا حي، قلت: نعم. قال: قد رأيته عليه السلام وعنقه هكذا - يريد أنها أغلظ الرقاب حسناً وتماماً - قلت : فالاسم؟ قال : نهيتم عن هذا[11].

ثالثاً: وروى ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: من أعامل أو عمن آخذ، وقول من أقبل؟ فقال له: (العمري ثقتي فما أدى إليك عني فعني يؤدي وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون)، وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل

ذلك، فقال له: (العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعمها فإنهما الثقتان المأمونان)، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك. قال: فخر أبو عمرو ساجدًا وبكى[١٢].

رابعاً: وعن الحسين بن أحمد الخصيبي قال: حدثني محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيّان قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه فقال : يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم : هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن في حديث طويل يسوقانه إلى أن ينتهي إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر: فامض فأتنا بعثمان بن سعيد العمري فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: (امض يا عثمان، فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال). ثم ساق الحديث إلى أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا! والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، قال: (نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم)[١٣].

خامساً: وفي كتاب آخر ورد لإسحاق بن إبراهيم النيسابوري يصف الإمام العسكري عليه السلام وكيله العَمري بأنه (الطاهر، الأمين، العفيف، القريب منا وإلينا)[١٤].

٢. الإمام المهدي عليه السلام: بعد وفاة عثمان بن سعيد أرسل الإمام المهدي عليه السلام إلى ولده السفير الثاني أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد يعزيه بوفاة والده وينصبه مكانه سفيراً ونائباً، أورد ذلك الشيخ الطوسي في غيبته قائلاً: وأخبرنا جماعة، عن محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، عن أحمد بن هارون الفامي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه عبد الله بن جعفر الحميري قال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد

بن عثمان بن سعيد العمري قدس الله روحه في التعزية بأبيه رضي الله تعالى عنه، جاء فيه: (إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضىً بقضائه، عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً، فرحمه الله، وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم، نضّر الله وجهه، وأقاله عثرته)، وفي فصل آخر من الكتاب نفسه: (أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزئتَ ورزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقواك وعضدّك ووفّقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً)[١٥]، وكان الإمام المهدي عليه السلام قد ترحم على عثمان وترضى عنه في غير واحد من كتبه وتوقيعاته التي خرجت لابنه محمد بن عثمان[١٦].

أما ما ورد بحقه من أقول المؤرخين والرجاليين فشيء كثير نقتصر على ما يأتي:

١. الشيخ الطوسي قال عنه: (الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رحمه الله، وكان أسدياً)[١٧]، وذكره في رجاله في أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال: (جليل القدر ثقة، وكيله عليه السلام)[١٨].

٢. الشيخ الطبرسي: (وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري قدس الله روحه باباً لأبيه وجده ـ أي للهادي والعسكري ـ عليهما السلام من قبل، وثقةً لهما، ثم تولى الباقية من قبله، وظهرت المعجزات على يده)[١٩].

طبقته في الحديث

لم يكن عثمان بن سعيد من المكثرين في رواية الحديث، وليس له كتاب أو أصل حديثي بحسب ما وصلنا من أقوال الرجاليين؛ لذلك لم يذكره النجاشي في رجاله ولا الطوسي في الفهرست، وإنما ذكره الطوسي في كتاب الرجال فقال: (جليل القدر ثقة)[٢٠]، ومن آثاره المشهورة روايته دعاء السمات بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام[٢١]، ولعل لهذا الخمول والانحسار في الدور الحديثي ما يبرره، من حيث أن الوظيفة التي تكفل بها العمري لم تكن تسمح له أن يكون على تواجد كبير كأحد المحدثين المشهورين الذين تعرفهم مجالس العامة والخاصة؛ ربما ليظل بعيداً عن عيون السلطة ورجالاتها من الأجهزة الأمنية أو من ذيول المدرسة الحديثية الرسمية، وإلى هذه الحقيقة يشير الشيخ الطوسي في غيبته قائلاً: (وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد عليه السلام بالأمر والنهي والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد رحمه الله ورضي عنه وغسله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به وحصل الأمر كله مردوداً إليه، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته، لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان رحمة الله عليه)[٢٢].

أ. مشايخه: روى عثمان بن سعيد عن

الإمامين العسكري وصاحب الزمان عليهما السلام، كما روى عن أبي عبد الله محمد بن مهران، ومحمد بن راشد (أو محمد بن علي الراشدي)، والحسن بن راشد.

ب. الرواة عنه: ابنه محمد بن عثمان، محمد بن موسى الجورجاني[٢٣]، الحسين بن حمدان الخصيبي[٢٤] (ت ٣٥٨)■

---

١) غيبة الطوسي ص٣٥٤.
٢) غيبة الطوسي ١٠٩، ٣٥٤، رجال الطوسي ٣٨٩، مناقب ابن شهرآشوب ٣\٤٨٧.
٣) قاموس الرجال ٩\٣٣٤.
٤) رجال الطوسي ٣٨٩.
٥) وممن رجح ذلك أيضاً السبحاني في طبقات الفقهاء ٣\٣٧١، وذكر الشيخ علي خازم أنه توفي سنة (٢٦٦ هـ) كما في كتابه (مدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة) ص١٩.
٦) علل الشيخ الطوسي هذا الإجراء بقوله: (مأمورا بذلك للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلا بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها) - غيبة الطوسي ص٣٥٦ ، ولعله يشير إلى عدم قدرة الإمام على تجهيزه بنفسه بسبب ظروف الغيبة والتداعيات الأمنية التي رافقتها، وسعي السلطات للإمساك بالإمام المهدي عليه السلام، ولعل هذا الأمر يصطدم مع ظاهر الرواية التي تقول: «أن الامام لا يلي أمره الا امام مثله ؟» – اختيار معرفة الرجال ١\٧٦٤، أي لا يلي أمر تجهيزه، والجواب إما أن نحتمل أن عثمان بن سعيد كان يتولى الأمر في الظاهر، بينما الذي يلي التجهيز في الحقيقة هو الإمام المهدي عليه السلام عن طريق الاعجاز، أو أن نقول إن عثمان إنما تولى التجهيز بأمر الإمام، وهذا يعني أن المتولي الأساس هو الإمام، وما جرى كان تحت نظره الشريف، والأمر هين في مثل هذه الأمور، ولاسيما وأن الثابت أن الإمام المهدي عليه السلام هو الذي صلى على أبيه في القصة المشهورة.
٧) غيبة الطوسي ص٣٥٦.
٨) قال محقق كتاب الغيبة: (إلى برا، أي إلى خارج، ولعل الألف في آخره زيادة من النساخ).
٩) غيبة الطوسي ص٣٥٨.
١٠) راجع: مزارات أهل البيت عليهم السلام وتأريخها ص١٢٢.
١١) غيبة الطوسي ص٣٥٤ -٣٥٥.
١٢) الكافي ١\٣٢٩.
١٣) غيبة الطوسي ٣٥٥-٣٥٦.
١٤) اختيار معرفة الرجال ٢\٨٤٨.
١٥) غيبة الطوسي ص٣٦١.
١٦) المصدر نفسه ص٢٩١.
١٧) غيبة الطوسي ص٣٥٣.
١٨) رجال الطوسي ص٤٠١.
١٩) إعلام الورى ٢\٢٥٩.
٢٠) رجال الطوسي ٤٠١.
٢١) بحار الأنوار ٧٨\٩٦.
٢٢) غيبة الطوسي ص٣٥٦.
٢٣) ذكر ذلك الطوسي في رجاله ٤٤٧.
٢٤) وروايته عن عثمان بن سعيد فيها إرسال.

واحة الأدب

الصورة الفنيّة في شعر رثاء الصحابي ميثم التمار رضي الله عنه

الدكتور حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة

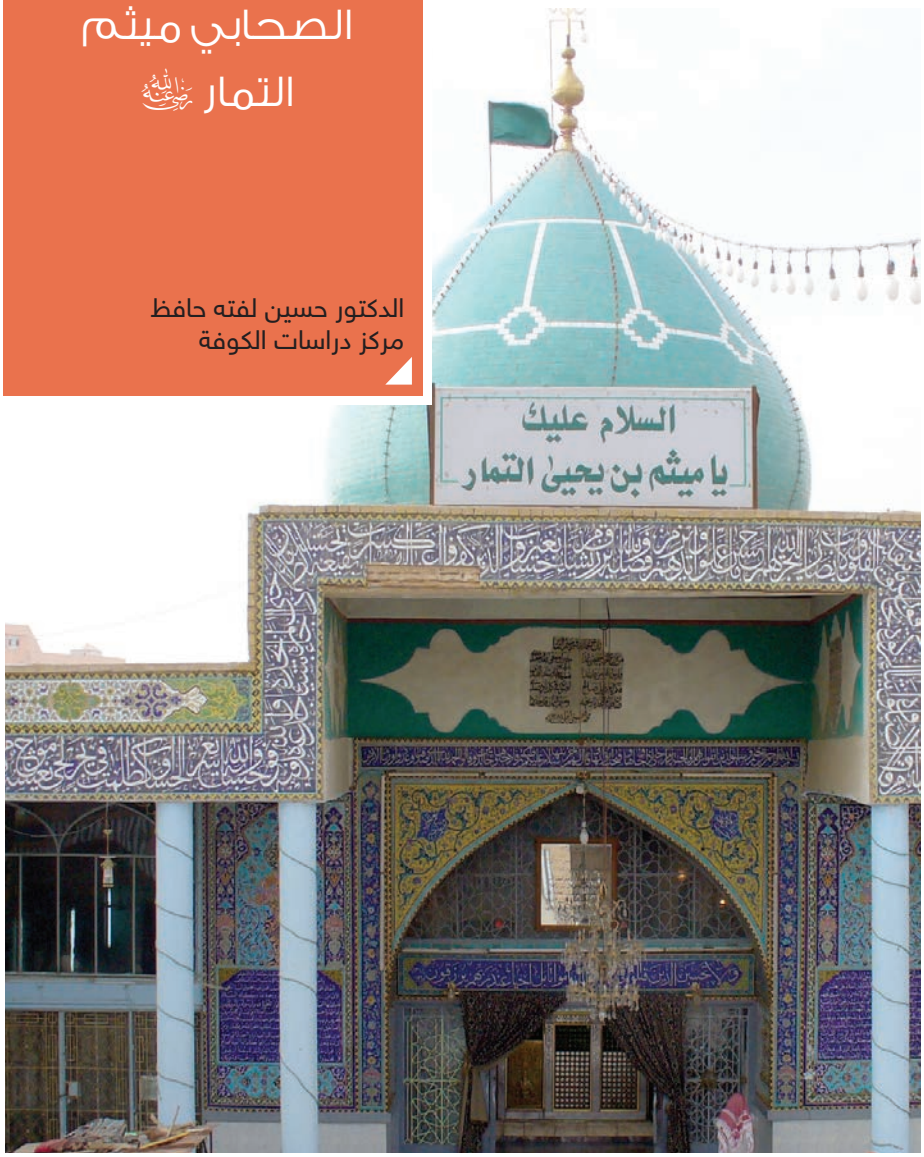

ينابيع

عرف العرب منذ زمانهم القديم فن الرثاء، وكان لهذا الفن الشعري قيمة أدبية عالية، بالإضافة لقيمته الاجتماعية، واشتهر عبر تاريخنا العربي شعراء كبار استطاعوا أن يخلدوا أسماءهم عبر هذا اللون الشعري، وتعدُّ (الخنساء) التي رثت أخاها (صخرًا) أنموذجًا لقيمة هذا اللون الشعري في تخليد الشخص الذي يكون أهلًا له، ومع تطور المجتمعات، استطاع فن الرثاء أن يتناغم مع هذا التطور، ويكون حالةً تتمتع بخصوصية يفرضها المجتمع الذي تكون فيه، وتعددت أبوابه تبعًا للصفة الغالبة في الشخص الذي يرثى، و(الرقة) بهذا الخصوص، تتميز بالخصوصية في هذا الفن، الذي يحاكي مشاعر إنسانية غاية في العمق.

الصورة الشعرية:

الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستعملًا طاقات اللغة وإمكاناتها الفنية. والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية، لذلك يتصل الحديث عن الصورة الشعريّة ببناء العبارة[١].

ويلاحظ الدارس لشعر رثاء ميثم التمار (رض) وجود أشكال متعددة من الصور الفنية كلها مستوحاة من الجهاد والمعاناة التي مر بها، من ذلك قول الشاعر هادي كاشف الغطاء:

مستقبلًا رماحهُم بصدرهِ
وبيضهُم بوجههِ ونَحرهِ[٢]

لقد رسم الشاعر هنا صورة هذا البطل وهو يستقبل الرماح بصدره كناية عن شجاعته وقوته وثباته على الدين الحنيف، مما يعكس رغبة المرثي بالشهادة لأنها توصل صاحبها إلى أرفع وأسمى الدرجات. ويستعمل الشاعر صيغة الجمع ليدلل على كثرة الأعداء نسبة إلى شخص واحد، مما يزيد من شجاعته وشدة بأسه وعدم هيبته من الموت، وهو يذكرنا بالقول المروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (الموت لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة).

أما الشاعر على الجشي فقد صور المرثي في قوله:

عليك شرح ذي الخطر
ميثم غواص الدرر

فالصحابي الجليل هنا يشبه الغواص، أو كأنّه غواص، لكن أي غواص؟ إنه غواص الدرر الذي يختار أحسنها، وهي صورة فيها إشارة إلى الحكمة التي كان يتمتع بها ميثم التمار رضي الله عنه.

اما الشاعر مهند الموسوي فقد صور المرثي بأنه نجمة في قوله:

زعم البغاة بـأن ذكـرك آفـلُ
يا نجمة عشقت دُجى الأسحارِ

فهو هنا نجمة قد عشقت دجى الأسحار، ويبدو أن الشاعر قد تأثر بأسلافه من الشعراء الذين كرروا هذه الصورة في قصائدهم، فهو يريد أن يقول إن زعم البغاة باطل حول خمول ذكر المرثي فهو نجمة دائمة الظهور مع الأسحار، وهو وقت تعبد، وفي ذلك إشارة إلى مدى طاعة ميثم لله وإخلاصه للدين الإسلامي[٣].

ويعد أسلوب التشبيه واحدًا من الأساليب الفنية التي وظفها الشعراء في بيان الصور الفنية نحو قول الشاعر:

أضحى ضريحك قبلــة فكأنه
شمس الضحى في فلكها الدوار

فالشاعر هنا يشبه ضريح المرثي بأنه الشمس، ولكن أي شمس؟ إنها شمس الضحى، وهذا زيادة في رسم ملامح الصورة، فهو اختار وقت الضحى لأن شعاع الشمس يكون أقوى في الضحى من بقية الأوقات، إلّا أن مثل هذا التصوير استعمل كثيرًا من قبل الشعراء السابقين، منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا.

لغة الرثاء:

امتاز شعر رثاء الصحابي ميثم التمار رضي الله عنه بامتلاكه لغة شعرية لها مفرداتها الخاصة، إذ وظف الشعراء المفردات القرآنية والتي لها مساس بالموروث الديني ومن هذه المفردات نجد (الإله، والرّب، والرسول، والنصر، والإيمان، والأمانة، والجزاء، والخليل، والأئمة، والسبط، ونهج البلاغة، وعيسى، والكتاب، والجنان،...إلخ). نلاحظ أن هناك حشد كبير من المفردات بعضها مفردات إسلامية وبعضها الآخر لها دلالة ترتبط بالموروث العربي القديم، وقد جاء استعمال الشعراء لهذه المفردات بطريقة تعطيها بُعدًا آخر يتلاءم والعصر الذي يعيش فيه الشاعر، ويبدو أن الهدف من وراء ذلك هو الكشف عن شخصية المرثي الدينية وإنها ليست شخصية اعتيادية، إنما هي شخصية لها ثقل ديني، مما أكسبها مهابة في نفوس المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام. انظر إلى قول الشاعر وتوسله إلى الله بهذا الصحابي الجليل في قوله:

فبميثم يــا رب ارحــم فاقتــي
إني عييت وضقــت بــالأوزار[٤]

فهذا البيت يحمل شحنة من الرقة والعاطفة، التي تؤثر في نفس المتلقي نتيجة استعمال لغة فيها مفردات تحمل دلالة عالية كونها مفردات مستوحاة من النص القرآني نحو كلمة (الفاقة) و(الرب) و(الأوزار).

ويلاحظ على لغة شعر رثاء الصحابي ميثم التمار رضي الله عنه قدرة الشعراء على توظيف أسماء الشخصيات الدينية التي صارت رمزًا للتضحية والفداء[٥] في سبيل إعلاء كلمة الحق، ومن هذه الشخصيات شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في قول الشاعر:

عندَ الرسول قالَ لسنا نُعذَرُ
إن قُتل السبطُ ونَحنُ نَنظرُ[٦]

واضح هنا كيف أن الشاعر استطاع أن يوظف شخصية النبي صلى الله عليه وآله ويربطها بحادثة الطف الأليمة، من حيث صلة القرابة بين الاثنين.

ومن الشعراء من استطاع أن يوظف شخصية النبي عيسى عليه السلام في قوله:

شابهت عيسى في تقاه ونسكــه
فطهرت من درن ومن أكــدار

فالمرثى هنا يشبه النبي عيسى عليه السلام في التقى والنسك وهي بلا شك صفة من صفات الأنبياء لا ينالها إلّا ذو حظ عظيم.

وكذلك استحضر الشاعر شخصية الإمام علي عليه السلام في قوله:

خليل أحمد النذر
أبي الأئمة الخير[٧]

لقد كنى الشاعر هنا عن شخصية الإمام بـ (خليل أحمد صلى الله عليه وآله) فهو محق لأن منزلة الإمام عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله لا تخفى على أحد وهو القائل: (أنت مني بمنزله هارون من موسى)[٨].

ومن الشعراء من استحضر شخصية الإمام الحسين عليه السلام في قوله:

ساءَ الحُسَينَ قتلُهُ وهَدّه
إذ كان خيرَ صاحب أعَدّه[٩]

لقد أراد الشاعر في هذا البيت أن يصور فداحة المصاب من خلال تأثر الإمام الحسين عليه السلام به، لقد نجح الشاعر في توظيف مشاعر المتلقي تجاه شخصية الإمام عليه السلام خدمة لمضمون النص، مما انعكس إيجابًا على دلالة النص.

وأخيرًا امتاز هذا النوع من الأدب بأنه صدى لعواطف ملتهبة، أخمد الزمان لهيبها أن يظهر، وأطلق الأدب دخانها أن يثور، ففاح كما يفوح النَّدُ حين يحترق، وماء الورد حين يتصعد[١٠].

إذًا فأسلوب الرثاء كان يهدف إلى استثارة النفوس وتأليف القلوب، وعطفها نحو قضية أهل البيت عليهم السلام وما لاقوه من عذاب على يد الأمويين والعباسيين، لذا اتجه هذا الشعر نحو التفجع على الشهداء ورثائهم.

ويلاحظ الدارس لشعر رثاء الصحابي الجليل ميثم التمار رضي الله عنه وجود مضمون الحزن في شعر رثاء هذه الشخصية الإسلامية، وأن هذا الحزن مبعثه واقعية ما جرى على هذا الصحابي من ظلم بسبب ولائه المطلق لأهل البيت عليهم السلام ومن ثم فإن رثاءه رثاء لأهل البيت عليهم السلام.

فضلًا عن هذا صوّر فن الرثاء الآثار الواضحة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام في مسيرة التاريخ، تلكم الثورات العلوية المتعاقبة التي بدأت من أواخر الحكم الأموي واستمرّت خلال الحكم العبّاسي. وتعدّ هذه الثورات صدىً طبيعيًا لنهضة كربلاء المقدسة الدامية. وقد استمر العلويّون في ثوراتهم وانتفاضاتهم، مُصرّين على أصل أنّ الإمامة والخلافة حقّهم الطبيعي المغتصَب■

١) ينظر الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : ٣٩٢.
٢) البيت في الديوان:٣٦.
٣) ينظر: من خصائص الأدب الشيعي وميزاته : ٣.
٤) البيت في الديوان :١٩.
٥) ينظر في ماهية النص الشعري : ١٢٨.
٦) البيت في الديوان :١٢، ورد في رجال الكشي: (حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان، عن عاصم بن حميد، عن ثابت الثقفي، قال: لما مر بميثم ليصلب، قال رجل: يا ميثم لقد كنت عن هذا غنيًا، قال: فالتفت اليه ميثم، ثم قال: والله ما نبتت هذه النخلة إلّا لي ولا اغتذيت إلّا لها) (ج/ ص١).
٧) البيت في الديوان :٣٤.
٨) ينظر أصول الكافي : ٢٣٤/٢.
٩) البيت في الديوان :٢٥.
١٠) ينظر من خصائص الأدب الشيعي وميزاته : ٤.

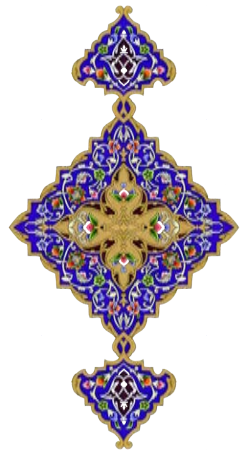

مكتبة الإمام الحكيم العامة/فرع العمارة قديمًا وحديثًا

مقدام محمد جاسم
المديرية العامة للتربية / ميسان

ينابيع

في أواسط القرن الميلادي الماضي اجتاحت بلاد الشرق موجة من الأفكار الإلحادية أثرت بشكل ملحوظ على نمط تفكير الشباب المسلم آنذاك، ولم يكن العراق بمنأى عن هذه الموجة التي انساق خلفها شبابه من مختلف الطبقات، فما كان من المرجعية الدينية المتمثلة بزعيم الطائفة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس الله نفسه الزكية) إلا التصدي بكل الوسائل لهذا المد الهدام، فأصدر سماحته فتواه المشهورة بشأن الشيوعية، وأمر بتأليف الكتب ونشرها في الرد على أفكار الملحدين، كما قام بخطوة مباركة وغير مسبوقة، تمثلت بتأسيس المكتبات العامة في عموم العراق ، بل وخارج العراق أيضًا، وقد عدت هذه الخطوة (من أضخم المشاريع الثقافية النهضوية والتأسيسية في العراق، ولم يشهد العراق قبله ولا بعده مشروعًا

جانب من الأحتفاليات التي تقام في المكتبة

ثقافيًا بهذه السعة والامتداد)[1].

ولم تكن مدينة العمارة في جنوب العراق بمنأى عن موجات المد الإلحادي، إذ انساق الكثير من أبناء المدينة وأقضيتها وضواحيها خلف هذه الأفكار، فكانت مكتبة الإمام الحكيم العامة في العمارة جزءًا من الرد على هذه الأفكار، إذ أسست (مكتبة آية الله الحكيم العامة في العمارة) والتي عرفت في ما بعد بـ (مكتبة الإمام الحكيم العامة فرع العمارة).

سنة التأسيس:

تباينت الأقوال في تحديد سنة تأسيس المكتبة، فهناك من قال بأن سنة التأسيس كانت ١٩٥٩م، وقرأت في أحد المصادر أن فرع العمارة أسس بتاريخ ١٨/ربيع الثاني/١٣٨١هـ[2]، وهذا يعني أواسط عام ١٩٦١م، كما وجدت بعض الكتب القديمة التي تعود للفرع القديم عليها ختم المكتبة (مكتبة آية الله الحكيم العامة) وعليها تاريخ ورود هذه الكتب إلى المكتبة، وهو التاريخ الأخير المذكور آنفا.

وفي استفتاء بعثه الدكتور المرحوم عبد الجليل التميمي إلى الإمام الحكيم يستفتيه في شأن أموال يروم إعطاءها إلى (المكتبة الإسلامية) التي كانت ماثلة في العمارة آنذاك، يفتي السيد الحكيم بأن يعطيها إلى المكتبة التي ستفتتح برعايته، وتاريخ هذا الاستفتاء ٢٧ /ربيع الأول /١٣٨٥هـ[3].

والذي يبدو، كما أخبرني بذلك جملة ممن عاصر تأسيس المكتبة، أن الإمام الحكيم افتتح، مكتبة أولى باسم (المكتبة الإسلامية)، وقد استمرت هذه المكتبة وكان موقعها في شارع بغداد

وسط العمارة، ثم بعد ذلك افتتحت مكتبة (الإمام الحكيم فرع العمارة).

وقد أخبرني بعضهم أن الشهيد السيد محمد باقر الحكيم (قد) هو الذي افتتح الفرع ممثلًا عن المرجع الأعلى الإمام الحكيم[٤].

وعلى أية حال فقد افتتحت المكتبة في مركز مدينة العمارة، في حسينية الحاج سلمان الحاج حسن، والتي تقع مقابل مسجد الأنصاري، في بداية شارع بغداد، واختار الإمام الحكيم لتولي شؤون المكتبة الأستاذ الشيخ ناصر كاظم زوير[٥]، وقد آزره جملة من أهل الفضل من المؤمنين، وأخذت المكتبة بممارسة نشاطها الديني والتبليغي والتوعوي، وقد التف حولها الشباب المؤمن الرسالي، فقاموا بنشاطات كثيرة منها:إقامة الأماسي الشعرية وإحياء المناسبات الدينية، كالاحتفال التأبيني الذي أقامته هيئة المكتبة في ٢٣/رمضان/١٣٨٦هـ بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٦]، كما زار المكتبة جملة من أصحاب الفضيلة والعلم ، وكذلك التوزيع المجاني للكتب الاسلامية والمجلات، منها كتب المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية، وكتاب (عقائد الإمامية) للمرحوم الشيخ محمد رضا المظفر، وغيرها من الكتب وكراسات مختصرة منوعة لعدد من العلماء والكتاب، وكذلك القيام بزيارات دورية إلى أرياف المدينة تهدف إلى بث الوعي والثقافة الإسلامية بين الأهالي، كما قام أعضاء المكتبة بلقاءات دورية مع إخواننا من أهل السنة في مسجد العمارة الكبير الذي يقع وسط العمارة[٧].

وبعد مجيء البعثيين للحكم، أمروا بإغلاق المكتبة وتهجير مسؤوليها إلى سامراء والأنبار، وأخبرني بعضهم أن البعثيين آنذاك قاموا بفتح ثقب في سقف المكتبة، وسلطوا الماء عليها من فوق، وقد تعرضت كتبها وموجوداتها إلى التلف والسرقة[٨].

إعادة الافتتاح:

بعد سقوط نظام الطاغية في العراق، تنفس أبناء الإسلام الصعداء، وأخذت الهيئات الدينية بممارسة نشاطها من جديد، وقد ارتأت إدارة مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف إعادة افتتاح مكتبات الإمام الحكيم في عموم العراق، ومنها محافظة ميسان، فقد أعيد افتتاح فروع المكتبة في مركز المحافظة وأقضيتها، وكانت إعادة افتتاح مكتبة الإمام الحكيم في العمارة بتاريخ ١٩/شعبان /١٤٢٨هـ، وقد أختير لها موقع في مسجد حي الحسن العسكري في العمارة، وعين مجموعة من الشباب للقيام بشؤون المكتبة.

وبعد إعادة افتتاح المكتبة زارها واطلع عليها عدد من الشخصيات الدينية من الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وشخصيات أكاديمية من المحافظة وخارجها، كما زارها مدير مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف.

يبلغ عدد الكتب الموجودة في الفرع نحو (٣١٠٠) كتاب، أكثرها إهداء من المكتبة الأم في النجف الأشرف، كما استقبلت المكتبة الكثير من الكتب بوصفها هدايا من المؤسسات والمراكز

الإسلامية في العراق، وكان من بينها العتبات: العلوية والحسينية والعباسية المقدسة، ومن بعض الأفراد أيضا .

وتقوم المكتبة حاليا بفتح أبوابها للاستعارة الداخلية والخارجية، ويؤمها جمع من المثقفين من طلبة العلوم الدينية، والأكاديمية، والدراسات العليا، في المحافظة، إلى جانب عامة الناس من المؤمنين المهتمين بالشأن الثقافي، والراغبين بالاغتراف من معين محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

كما يقوم الفرع بإقامة المناسبات الدينية في ولادات المعصومين عليهم السلام، ووفياتهم، وطباعة بعض المنشورات الدينية، وإقامة الدورات والندوات التثقيفية، كل ذلك بدعم مباشر من قبل مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف، وبإشراف المتولي .

التماس:

إننا في الوقت الذي نشكر الله سبحانه وتعالى على تهيئة هذه المكتبة واستمرارها بالعطاء، نسأله جل وعلا أن يتغمد الفقيد المؤسس بواسع رحمته، وأن يسكنه الفسيح من جنته، كما نذكر إخواننا المؤمنين في محافظتنا العزيزة ممن يحتفظ بكتب المكتبة القديمة، أو بعض موجوداتها، بضرورة إرجاع ما بحوزتهم إلى الفرع الجديد أو تسليمها إلى المكتبة الأم في النجف الأشرف، والله سبحانه وتعالى وحده القادر على جزائهم ومكافأتهم على صنيعهم بعد أن حافظوا على ما تبقى من كتب المكتبة، في وقت كان فيه امتلاك الكتاب الديني يؤدي بمالكه إلى الإعدام أو التغييب في السجون■

١) الإمام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي: ٢٧٦/١.
٢) ينظر: من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامة: ٢٩.
٣) ينظر: الإمام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي: ٣٥٩/١.
٤) أخبرني بذلك صاحب مكتبة التفكر في ميسان، وأكد لي هذه المعلومة بعض الأخوة المهتمين بالشأن الثقافي.
٥) ناصر كاظم زوير الوحيلي من رجال الثقافة والأدب في العمارة .....
٦) ينظر: ديوان الدموع للشاعر محمد الخليل: ١٤.
٧) أخبرني بهذه النشاطات جمع ممن عاصر افتتاح المكتبة وعمل بها.
٨) أخبرني بذلك صاحب مكتبة التفكر في ميسان.

طروحات عامة

بيئة النجف الأشرف وخصائصها

المحامي عبدالرزاق أحمد الشمري

ينابيع

ما لا يختلف عليه اثنان أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان لها أكبر الأثر وأبلغ التأثير في النفوس. فقد أجمع علماء الاجتماع على أن للبيئة أثرها الخاص في الأجسام والعقول، وفعلها البالغ في النفوس والطباع والعادات والأخلاق، وأن لكل بيئة خواص تمتاز بها عن غيرها وهذه الخواص هي العوامل الفعالة التي تمنح ساكنها تلك القوى الحيوية التي تسلحها في ميدان النزاع الحياتي فتميزها عن الحيوان والكائنات الأخرى، ومعلوم أن البيئات متفاوتة تفاوتاً عظيماً حسب الآثار الطبيعية والمؤثرات العامة فهناك بيئة الصحراء وقمم الجبال الثلجية والقطبين والأقاليم شديدة الحر، فإن هذه الأماكن قلما تمنح ساكنيها تلك القوى الحيوية والحساسة وذلك النشاط الروحي الوثاب كما أن أجود البيئات الطبيعية هي السهول والمروج الخصبة في الأقاليم المعتدلة، حيث تغدق على الإنسان القاطن فيها تلك القوى الروحية بغزارة وتمنحه صفاء الذهن وسلامة الذوق وشفافية الروح، ما لم تمنح غيره من سكان البيئات الأخر في المناطق المعتدلة [1].

لذا نرى أن التاريخ الصحيح يثبت لنا أن أقدم الأمم التي أنشأت دولاً عظيمة ومدنيات مجيدة كانت أولاً في العراق ومصر، ثم صارت منها تنشأ في الدول الأخرى وهذا التأثير للبيئات الطبيعية لم يكن مقتصراً على تطور المدنيات فحسب بل له الفعل الواضح على الأخلاق والأمزجة وحتى على بنى الأجسام ورقي العقول...

وقد ذهب أكثر المؤرخين إلى أن العراق أعرق من غيره في سائر المزايا الطبيعية

والفضائل الكريمة، قال بعض الحكماء[٢]: (وأما العراق فمنار الشرق وسرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه وبه اتصلت النضارة، وعنده وقف الاعتدال، فصفت أمزجة أهله ولطفت أذهانهم، واحتدت خواطرهم واتصلت مسراتهم فظهر منهم الدهاء، وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم، وقلب الأرض العراق، وهو المجتبى من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق، ومسلك النور، ومسرح العينين ولأهله أعدل الألوان وأنقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح، وفيهم جوامع الفضائل، وفوائد المبرات وفضائله كثيرة لصفاء جوهره، وطيب نسيمه، واعتدال تربته، وإغداق الماء ورفاهية العيش به)[٣].

وقال ياقوت الحموي[٤]: والعراق أعدل أرض الله هواءً وأصحها مزاجاً وماء، ولذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة، والآراء الراجحة، والشهوات المحمودة، والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الأعضاء واستواء الأخلاط وسمرة الألوان.

وقال اليعقوبي[٥] عند وصف تربة العراق: وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها، ونظرت وجوههم وانفتقت أذهانهم، حتى فضلوا الناس في العلم والأدب، والنظر والتميز والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظره وإحكام كل مهنه وإتقان كل صناعة فليس أعلم من عالمهم ولا أروى من روايتهم ولا أجدل من متكلمهم ولا أعرب من نحويهم، ولا أصح من قاريهم ولا أمهر من متطببهم ...، ولا ألطف من صانعهم، ولا أكتب من كاتبهم، ولا أبين من

منطقهم ولا أعبد من عابدهم، ولا أروع من زاهدهم، ولا أفقه من حاكمهم، ولا أخطب من خطيبهم، ولا أشعر من شاعرهم..... ».

وهذا الوصف الدقيق من اليعقوبي لبيئة وطبيعة العراق وما تقدم من كلام ياقوت الحموي يعطينا انطباعاً لما للبيئة من صقل النفوس وبناء الأجسام والعقول وبالتالي تفتح الأذهان والقرائح وهذا يولد الإبداع في كل شيء، ونحن في البحث المتواضع لا نريد أن نلم بأطراف هذا الأمر لأنه بحث شائك وطويل ولكن نريد أن نلم إلمامة ولو بسيطة بتأثير البيئة في النجف الأشرف على الذهنية العلمية وصقل مواهبها وتنمية مواهبها وإن ذلك يرجع إلى طبيعة هذه المدينة واحتضانها إلى جسد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ... (لقد أصبح هذا القبر سبباً مباشراً في تمدن هذه البقعة، وعاملاً هاماً في ظهورها مدينة متسعة مزدحمة سريعة النماء. ذات طبيعة اجتماعية إسلامية خاصة وخصوصاً بعد وصول شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي تلميذ الشيخ المفيد قادماً من بغداد عام ٤٥٠هـ[٦].

هذا هو العراق الذي عرفت مكانته في الشرق الأدنى، ومحله المتوسط من بقاع الأرض وبديهي أن النجف الأشرف في العراق هي قلبه النابض، وعقله المتصرف، ونقطة اعتداله المرموقة وأصفى نقاطه اعتدالاً وأرضى بقاعه طباعاً وأخلاقاً وأعدل سكانه أمزجة ونفوساً.

إن الحديث عن بيئة النجف الأشرف حديث ممتع وذو شجون فلم يعرج عليها باحث إلا وأكثر من وصفها والإطراء عليها ومدحها بأجمل العبارات وأدق المعاني.

يحدثنا الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه القيم[٧] (ماضي النجف وحاضرها) عن بيئة النجف الأشرف فيقول: (النجف في إقليم حسن التربة معتدل في الحرارة والبرودة لم يلحق الحجاز في حره ولا الجهات الشمالية في برودها وهو العراق، وكان ظهر الكوفة الذي هو النجف يدعى (خد العذراء) ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق، ولحسن تربته وطيب هوائه كان متنزهاً للساسانيين والمناذرة والعباسيين[٨]، يقول المسعودي في مروج الذهب: (قد كان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوها وصحة تربتها وقرب الخورنق والنجف منها[٩].

ومن هذه القصور الخورنق والسدير في الحيرة وقصر أبي الخصيب والقصر الأبيض، ومن أسماء النجف (الطور، والربوة، والظهر، والجودي، ووادي السلام، وبانقياء اللسان، والغربي، والغريان، والمشهد). لقد كان طيب مناخ النجف وصفاء جوها من أهم الأسباب التي أغرت الناس بالإقامة فيها والهرب إليها أيام الأوبئة والأمراض[١٠].

فلا غرابة إذن إذا ما أخذت النجف الأشرف مكانتها السامية في العالم الإسلامي وحصلت لها هذه الأهمية الفائقة بين سائر البلاد وأصبحت موضع عناية الملوك والعظماء الذين يقصدونها من الأماكن الشاسعة ويتقاطرون إليها من كل صوب وحدب بعد أن تشرفت بمرقد بطل الإسلام وباب مدينة العلم النبوي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أصبحت لهذه الميزة، ولهذا الشرف الرفيع ولسائر العوامل الطبيعية المتقدمة جامعة

الدين الكبرى وعاصمة المذهب الشيعي الوحيدة، وأعظم معهد علمي تأوي إليه طلاب الحقيقة ورواد العلوم وأكبر مرجع ترجع إليه هذه الطائفة من شرق الأرض وغربها في التقليد منذ العهود البعيدة والقرون المتطاولة وحتى اليوم وإلى ما شاء الله أن تكون[١١].

يقول الشيخ محمد السماوي (رحمه الله) في وصف تربة النجف وأهلها[١٢]:

ألم على ذكوات النجف
ولاحظ بطرفك تلك الطرف
هواءً نقياً تحف النفوس
بطيب هدايا له أو تحف
وتربا زكيا يود الفؤاد
يلاصقه من وراء الشغف
وعج بالحمى لترى رمله
النقي، وما رق فيه ورف
إذا باكرته السما بالحيا
حسبت مدار النجوم انقصف
ترى مشرق النهر من حوله
على جانب الغرب منه انعطف
فأين يتاه بمن لم يعج
بتلك الجنان وتلك الغرف
أيختاره ربعا سوى ربعها
فيلقى اللآلي ويجبي الصدف
يؤلفهم جامع ومن ولا
«علي» إذا ما القبيل اختلف
كأن الجماهير حول الضريح
حجيج بمكة ذات الشرف
كأن صفوفهم في الصلاة
أكاليل در بتاج تصف
كأن العلوم إذا دارسوا
بحار بأفكارهم تغترف
سل(الصحن) كم فيه من لائذ
يقول «علي» له: لا تخف
وكم فيه من مستقيل يقال
له: قد عفا الله عما سلف
وكم فيه من ذاكر ربه
تقرب بالمرتضى فازدلف

تعد مدينة النجف الأشرف منذ نزول الشيخ محمد بن الحسن الطوسي لاجئاً إليها من بغداد حتى وقتنا الحاضر مركزاً مهماً من مراكز الثقافة والفكر العربي الإسلامي بل يمكن القول إنها جامعة إسلامية شاملة لجميع ميادين النشاط العلمي والأدبي والاجتماعي والسياسي إذ أنجبت آلاف الفقهاء والمجتهدين والأدباء والشعراء والمجاهدين المدافعين عن بيضة الإسلام.

وعلى الرغم من أن بعض المدن الشيعية قد حازت الرئاسة العلمية والمرجعية، لكنها لم تدم طويلاً كما دامت في النجف الأشرف فقد حازت الرئاسة العلمية والزعامة الدينية في القرن الخامس الهجري حتى اليوم وإن اختلفت في بعض العصور قوة وضعفاً وقلة وكثرة ولكن لم ينقطع عنها العلم أبداً فغدت تعد من العواصم العلمية التي لها الحظ الأوفر، ولهذه الخصوصية التي تميزت بها مدينة النجف الأشرف باعتبارها مركزاً للفكر العربي والإسلامي في مختلف العلوم فقد أصبحت محط أنظار كثير من طلاب العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لأجل التلمذة على منبرها. هاجر ولم يزل يهاجر إليها الجمع الغفير من مختلف العناصر والأجناس، إذ كان لهذا التوافد الأثر الكبير لأن هؤلاء هاجروا إليها بأفكارهم وميولهم وأذواقهم وأساليبهم الفكرية التي كانوا يتمتعون بها فولدت الاحتكاك والتزاوج الفكري الذي أفاد النجف بأمور

عديدة أدبية واجتماعية واتجاه إصلاحي وأثر أدبي في الحركة العلمية[١٢].

ومن هنا يتضح لنا أن مدرسة النجف خلال هذا الدور الذي يعد من أزهى أدوارها العلمية قد أسهمت في رفد الفكر الإسلامي والعربي بشتى صنوف المعرفة، أضف إلى ذلك أن حوزتها العلمية لم تزل تحتفظ لوقتنا الحاضر بدور القيادة والريادة على الحوزات العلمية الأخرى■

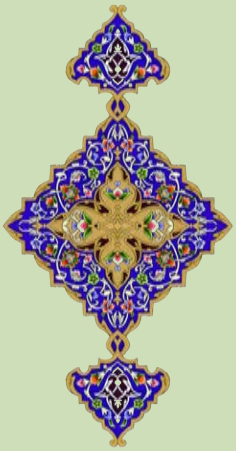

١) ديوان السيد موسى الطالقاني/ المقدمة ص١٨ـ ١٩.
٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ج٢ ص٦٢.
٣) المصدر السابق.
٤) معجم البلدان/ ياقوت الحموي ج٦ ص١٢٥.
٥) البلدان/ لمحمد بن واضح اليعقوبي ص٣.
٦) حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري ـ د. عبد الصاحب الموسوي ـ ص٣٦.
٧) ماضي النجف وحاضرها ـ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة/ ص٤.
٨) ومنه سميت شقائق النعمان وهو النعمان بن المنذر وهو نوع من الورد كان منبته في النجف.
٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ ج١ ص٣٩٧.
١٠) حركة الشعر في النجف ـ ص٣٥.
١١) مقدمة ديوان السيد موسى الطالقاني ـ ص٢١ المقدمة.
١٢) ماضي النجف وحاضرها /ج ص٣٤ـ ٣٥.
١٣) مقدمة ديوان السيد محمد مهدي بحر العلوم ـ ص١١ـ ١٣.

قراءة القرآن في شهر رمضان

*عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَحْسَنِ مَنْظُورٍ إِلَيْه .... حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ عَزَّ وجَلَّ فَيَقُولُ يَا رَبِّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أَظْمَأْتُ هَوَاجِرَه وأَسْهَرْتُ لَيْلَه فِي دَارِ الدُّنْيَا وفُلَانُ بْنُ فُلَانٍ لَمْ أُظْمِئْ هَوَاجِرَه ولَمْ أُسْهِرْ لَيْلَه فَيَقُولُ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَدْخِلْهُمُ الْجَنَّةَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فَيَقُومُ فَيَتَّبِعُونَه فَيَقُولُ لِلْمُؤْمِنِ اقْرَأْ وارْقَ، قَالَ فَيَقْرَأُ ويَرْقَى حَتَّى يَبْلُغَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَتَه الَّتِي هِيَ لَه فَيَنْزِلُهَا»

(الكافي / ٢ / ٦٠١)

* عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيه مَنَارُ الْهُدَى ومَصَابِيحُ الدُّجَى فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَه ويَفْتَحُ لِلضِّيَاءِ نَظَرَه فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ).

(الكافي / ٢ / ٦٠٠)

* عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله الصادق عليه السلام: (كَانَ فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَصْحَابَه اعْلَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ هُدَى النَّهَارِ ونُورُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَهْدٍ وفَاقَةٍ).

(الكافي / ٢ / ٦٠٠)

* قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه: (....وعليك بقراءة القرآن والعمل بما فيه ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فإنه عهد من الله تبارك وتعالى إلى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية، واعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارقَ، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه).

(من لا يحضره الفقيه/ الصدوق/ ج٢ص٦٢٨)

طروحات عامة

أسلوب الحكم في الفكر الإسلامي ... والفكر الميكيافيللي

الباحث: حسن جميل الربيعي

ينابيع

(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله[1].

بهذا يكون كل حاكم ومسؤول ورئيس دولة وحكومة، بل وحتى رب العائلة، مسؤولاً عمن هم تحت رعايته وهم رعيته، وهذا الراعي لابد أن يكون له أسلوبه وطريقته الخاصة في أداء عمله لرعايتهم وحكمهم وتسيير أمورهم، لكي تسير الأمور بانسيابية واستقرار فيما يريد تحقيقه ولأي هدف كان.

إن النهج الذي يستخدمه أي إنسان بصورة عامة والحاكم بصورة خاصة مع عماله ورعيته يبين نفسيته وهدفه من الحكم، ويظهر نظرته للحكم والسلطة أهي غاية عنده يريدها لنفسه، أم وسيلة يستغلها لتحقيق مآرب أخرى قد تكون لنفع المجتمع أو قد تكون لنفع شخصه.

فإذا كان الحكم غاية عنده لأن يكون والياً على شؤون المجتمع يحكمهم ويقضي بينهم ويأمرهم، وأن يستخدم أسلوب الظلم في التعامل فهذا يظهر أن هناك عقداً نفسية في داخله أراد أن يزيحها ويتغلب عليها فيعمد إلى هذا الأسلوب وبهذا يكون قد سدَّ في نفسه نقصاً كان يستشعره بسبب تلك العقد السابقة، والنابعة من حب الأنا في النفس، وحب التسلط على الآخرين، وهي أمور صعبة قد لا يستطيع الإنسان إزالتها من نفسه وقد يطبقها وهو غير عالم بها.

هذا إذا كان الحكم غاية عنده لنفسه، أو وسيلة استغلها لنيل مكاسبه الشخصية، وبذلك يكون سيفاً مسلطاً على رؤوس الناس قد يستخدم القسوة والخشونة والغلظة معهم، ويسلك كل الطرق الشرعية

وغير الشرعية للبقاء في منصبه، وإن كان ذلك يؤدي إلى ما يؤدي من فساد العباد والبلاد.

أما الوجهة الأخرى للحكم والسلطان فتنطلق من أن هذا الحاكم أو المسؤول باستلامه لهذا الحكم والسلطة أصبح وسيلة لخدمة الناس كلهم سواء، ولا يفرق بين اثنين منهم، فالحكم عنده وسيلة لإظهار الخير وإفشائه بين أبناء جلدته ووطنه، فهدفه السعي لخدمة رعيته والاهتمام بشؤونهم، وبذلك يكون قد أراح ضميره ونفسه من مسؤولية احتملها باستلامه هذا المكان، وأرضى ربَّه وشعبه، وهذا الحاكم يستخدم الرأفة والعدالة بين مجتمعه، ويجعل الحب والثقة تسود فيما بينهم وبين مجتمعهم، وبينهم وبين حاكمهم، وهو لا يلجأ إلى العنف والقوة إلا في حدود مشروعة تقرها القوانين الصحيحة لكي لا يفلت الأمر وتسود الفوضى في رعيته.

هذان الأمران يعودان من جهة إلى نفسيّة الحاكم، ومن جهة أخرى يعودان إلى المبدأ والمنطلق الذي يحمله الحاكم وينطلق منه، فإذا كان المنطلق منطلق رأفة وحب ورحمة نراه رؤوفاً محباً رحيماً، أما إذا كان المنطلق منطلق استعلاء وسلطة وقسوة نراه مستعلياً متسلطاً قاسياً.

ونستطيع للتوضيح أكثر أن ننظر إلى مثالين من المبادئ التي انطلق منها الحكام في التأريخ:

الأول هو المبدأ الإسلامي والذي مثله خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بنفسه، وأوصى به إلى عماله، فقد كان من وصيته إلى واليه على مصر مالك الأشتر أن رسم له أسلوب تعامله مع

رعيته، يقول عليه السلام: (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ، وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ)[٢]

ويقول في نهاية وصيته له: (إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا)[٣].

فنحن نقرأ هذا الأسلوب في التعامل والذي يبين منهجية الإسلام ونظرته إلى الحكم والسلطة وأنه يجب أن يكون منفذاً لخدمة الشعب والذي بخدمته ينال رضا الله تعالى، وأن لا يخرج عن حدود الله تعالى حتى مع غير المسلمين؛ إذ تجمعه معهم رابطة الأخوة الخلقية، وهو بهذا يكون محترماً للنفس المحرمة، وينظر لها بإكبار وإجلال لا كما يفعل بعض من يدّعي الإسلام من أعداء أهل البيت عليهم السلام والنواصب الذين نصبوا أنفسهم ولاة وحكاماً على رقاب الناس وبدأوا بالقتل والسبي والنهب والتشريد دون أن يراعوا للإنسان حرمة، ودون أن يخافوا الله تعالى، فهؤلاء اتبعوا منهج الشيطان وابتعدوا عن منهج الرحمن في أسلوب الحكم.

أما المبدأ الثاني فهو المبدأ السلطوي إن صح التعبير، وهذا المبدأ ينطلق من الحفاظ على السلطة بأي شكل من الأشكال وإن أدى ذلك إلى الظلم والطغيان وسفك الدماء بغير حق، والتسلط الباطل بالشدة والعنف عند الحاكم حتى أن أفراد المجتمع يهابونه ويجلونه لا لشيء إلا لكونه شديدًا قاسيًا عليهم، ويكونون خائفين غير مطمئنين لا يسعدون بالعيش وليس لهم الحرية حتى مع أنفسهم أحياناً، وهذا يؤدي بهم إلى أن يتجنبوا أغلب الأشياء مخافة من الحاكم الظالم، فإذا كانت لديهم قضية من القضايا التي تستوجب أن يعرضوها عليه تركوها خوفاً على أنفسهم من شدته، وخوفاً من أن ينقلب الأمر ضدهم، وبذلك تكون حياتهم جحيماً عليهم لا تطاق، ويكون الحاكم في هذا الحال يعاقب من يشك فيه ويظلمه، والمهم عنده أن يبقي على نفسه في مكانه بالحفاظ على الهدوء السياسي والاجتماعي من خلال الترهيب والخوف لجميع الناس، ولا يجعل الأمور تتوسع دائرتها وتنفلت منه وإن أدى ذلك إلى الظلامات التي تقدم ذكرها.

وهناك حكام كثر ساروا على هذا النهج سجلهم التأريخ وأصبحوا لعنة في تأريخ البشرية، ومن المفكرين الذين نظروا لهذا النوع من التفكير الفيلسوف والسياسي الايطالي (نيكولاس ميكيافيللي) في كتابه (الأمير) الذي طرح فيه نظريته في الحكم، والذي أصبح ـ هذا الكتاب ـ فيما بعد بمثابة دستور وورقة عمل يحفظها وينفذها كل الحكام الطواغيت الجبابرة في العالم.

ومما جاء في كتابه وفي وصيته لأحد أمراء إيطاليا إذ يقول له: (يجب على الأمير ألا يعبأ بأن يوصف بالشدة ما دامت هذه الشدة من أجل الحفاظ على مواطنيه وولائهم له، وذلك لأنه حين يكون شديداً مع عدد قليل جداً من الناس، هو بذلك أفضل من الأمراء الذين يفرطون في اللين مما يسبب وقوع الاضطرابات، وتسيل الدماء ويحدث النهب والسلب، وهذه أمور تضر الكثيرين بصفة عامة، لكن تنفيذ حكم الإعدام في عدد قليل من الناس لن يؤذي أحداً غيرهم، والأمير حديث العهد بالإمارة فقط هو من في حاجة شديدة دون بقية الأمراء للاشتهار بالشدة؛ لأن الولايات الجديدة تعاني دائماً من الأخطار).

أكتفي هنا بنقل هذا النص لميكيافيللي لتوضيح أفكاره والمقارنة بينه وبين الحاكم الإسلامي متمثلاً بأمير المؤمنين عليه السلام، على بعد المسافة وعلى عظم الفرق بين الاثنين، فأين الثرى من الثريا، ولكن لا بد من إبراز منهج التفكير لكي نصل إلى الطريق الأسلم الذي يحبذه الشرع والعقل، ولابد أن نسير عليه ونتبعه.

في النص الأول والذي هو المنهج الإسلامي في أسلوب الحاكم نرى احتراماً للإنسان بما أنه إنسان خلقه الله وكرّمه، أما في النص الثاني نرى احتراماً ضئيلاً للإنسان، فإذا أدّت المصلحة إلى إعدام عدة أفراد من الشعب فهذا ما يطبقه الحاكم لكيلا تتأثر مملكته وحكمه، وهو بهذا يكون سافكاً للدم الحرام الذي حذر أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ التحذير من سفكه بقوله (إياك والدماء) وهذا الأسلوب الذي سمّاه علماء العربية بأسلوب التحذير وهو من أشد الأساليب، وأمير المؤمنين عليه السلام بهذا التحذير ينطلق من روح إسلامية تخاف الله تعالى وتخشاه لأنه تعالى هو الخالق وهو الرازق، وسفك الدم وظلم الإنسان البريء عنده من أشد المحرمات، والله تعالى مطّلع على العباد حكامهم ورعيتهم، وسوف يقف الجميع في يوم واحد لمحاسبتهم، ويكون الله الشاهد هو الحاكم.

فهذا الحاكم الدنيوي والذي يزول حكمه مهما طال من الزمن لا يظن أنه تسلط على رؤوس العباد والبلاد وأصبح بيده كل شيء بل لا بد له أن يذكر أنه حاكم لهذا المجتمع والله تعالى من فوقه حاكم عليه، وهذا المعنى لا نجده عند ميكيافيللي الذي هدفه الأساس كما تبين سابقاً الهدوء السياسي والاجتماعي والمحافظة على الحكم بأي طريقة، وإن أدى ذلك إلى الشدة وسفك الدماء.

فالحاكم الذي يستخدم الحكم لإقامة حدود الله وخدمة الناس يكون الحكم عنده لا يساوي شيئاً، (قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبَّاس: دَخَلْتُ عَلَى أَمِير الْمُؤْمنينَ عليه السلام .. وهُوَ يَخْصفُ نَعْلَه فَقَالَ لي: مَا قيمَةُ هَذَا النَّعْل؟ فَقُلْتُ: لَا قيمَةَ لَهَا. فَقَالَ عليه السلام: واللَّه لَهيَ أَحَبُّ إلَيَّ منْ إمْرَتكُمْ إلَّا أَنْ أُقيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطلًا)[٤]، فالحكم عنده لا يساوي شيئاً إلا ما كان يصب في إقامة الحق ودفع الباطل.

فما أجمل وأحلى هذا اللون من الحكم وما أفظع وأشد الحكم الدنيوي الذي يكسب الحاكم فيه سخط الله وسخط الناس.

وما أقساه إذ يرى: (يجب على الأمير ألا يعبأ أن يوصف بالشدة)، وما أرحم الحكم الإسلامي وأعطفه إذ يقول: (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ

الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ) فأين الخلق الإسلامي من الخلق السلطوي، وهذا يبين جمالية الإسلام واحترامه لحقوق الإنسان الذي ينادي به جميع الحكام والزعماء على ألسنتهم، ولا يطبقونه في سياستهم ، والتأريخ شاهد عليهم منذ قدم الزمان كيف احتقروا الإنسان وسفكوا دمه من أجل حكمهم، فهذا نيرون ومعاوية ويزيد ومروان والحجاج والسفاح وصولاً إلى حكام عصرنا الحاضر، لم يعطوا الرعية حقها، وتعاملوا معها على المنهج الميكيافيللي الظالم فعندهم (تنفيذ حكم الإعدام في عدد قليل من الناس لن يؤذي أحداً غيرهم) وهو استهتار بحق الإنسان، وطوّره من أتى بعدهم ولم يجعلوه إعدام عدد قليل بل وصل بهم إلى إعدام قرية أو مدينة بأكملها وهم يفتخرون بأفعالهم الشنعاء التي سوف تتبعهم أبد الآبدين في الدنيا والآخرة، إذ لا يتعظون بمن قبلهم، ممن ذاقوا عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.

ولننظر إلى الفقرة الأخيرة من نص ميكيافيللي الذي قال فيه: (والأمير حديث العهد بالإمارة فقط هو من في حاجة شديدة دون بقية الأمراء للاشتهار بالشدة؛ لأن الولايات الجديدة تعاني دائماً من الأخطار) فعنده أن الأمير الجديد يجب أن يشتهر بالشدة، ولنعد إلى أمير المؤمنين عليه السلام ونرى متى كتب عهده للأشتر؟ لقد كتب العهد له حين أعطاه كتاب الولاية لمصر قبل أن ينطلق إليها، أي أنه أمير جديد عليها، وفيها بين له كيف يتعامل مع الرعية فكانت عكس النظرة الميكيافيللة تماماً: (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ...) يحذره وينصحه أن ينظر إلى الناس كلهم بمنظار واحد وأن لا يحاول أن يكون قاسياً عليهم، وأن لا يحاسبهم على الصغائر من الأمور فالإنسان بطبعه خطّاء، فليصفح عنهم إن كان يحب أن يصفح الله تعالى عنه، وليعاملهم بمثل ما يحب أن يعامله من يحكمه، وبهذا يرجعه إلى طبيعته الإنسانية الإسلامية ويذكّره بأنه إنسان كما الرعية إنسان أيضاً، فهم سواسية في نظر الله إليهم، وإن أكرمهم عند الله أتقاهم؛ أما المنهج والمبدأ السلطوي فلا يرى هذا الشيء بل يرى النهج الذي يجعل الحاكم والسلطان في طبقة أعلى من طبقة الرعية فهم أنصاف آلهة ونظرة الله تختلف إليهم وهم مخلدون، وبذلك ينسون ما ينتظرهم في قابل أيامهم من موت وقبر وحساب، حين يقف الحاكم والرعية بين يدي الحاكم الأعظم ليحاكمهم جميعاً على أفعالهم حسنها وقبيحها.

هذا مختصر يبين فقرة في أسلوب الحاكم بين النظرة الإسلامية الصحيحة وبين النظرة التي لا تخاف الله ولا تتورع في أمر من الأمور من أجل الحكم أي أن الحكم عندها غاية للسلطة والنفس لا وسيلة لخدمة الناس.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين■

---

١) روضة المتقين/ المجلسي الأول/ ج٥ ص٥١٥.

٢) نهج البلاغة/ خطب الإمام علي عليه السلام/ تحقيق صبحي الصالح/ ص٤٢٧.

٣) ن.م/ ص٤٤٣.

٤) ن.م/ ص٧٦.

فضل
دعاء البهاء في السحر

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: (لو يعلم الناس من عظم هذه المسائل عند الله وسرعة إجابته لصاحبها لاقتتلوا عليه، ولو بالسيوف، والله يختص برحمته من يشاء).

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: (لو حلفت لبررت أن اسم الله الأعظم قد دخل فيها، فإذا دعوتم فاجتهدوا في الدعاء فإنه من مكنون العلم، واكتموه إلّا من أهله، وليس من أهله المنافقون والمكذبون والجاحدون وهو دعاء المباهلة).

أجوبة مسابقة العدد (٦٨)
وأسماء الفائزين

الســـؤال الأول: ج- أويس القرني

الســـؤال الثاني: أ- عندما قتل عليه السلام أصحاب الألوية يوم أحد

الســـؤال الثالث: أ- عبد الله بن عباس

الســـؤال الرابع: أ- ٥ أشخاص

السؤال الخامس: ب- ثلاثة أولاد

السؤال السادس: ج- ذي قار

الســـؤال السابع: أ- بعد شهادة محمد بن أبي بكر

الســـؤال الثامن: ج- الصنف الثالث

الســـؤال التاسع: أ-في مِنى

الفائز بالجائزة الأولى: تهاني سالم كاظم/ الديوانية/ المهناوية

الفائز بالجائزة الثانية: أحمد حسن محمد/ بغداد/ الشعلة

الفائز بالجائزة الثالثة: زهراء كاظم مطر/ الناصرية/ الاسكان الصناعي

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٠)

١ مر الإمام الرضا عليه السلام أثناء سفره إلى خراسان على قرية فنزل مسجدها، فجاءه رجل - كان قد رأى في المنام النبي صلى الله عليه وآله يناوله تمرات في نفس المسجد- فوجد الإمام جالسا وبين يديه تمرا فناوله الإمام تمرات فحسبها فوجدها بعدد ما أعطاه النبي صلى الله عليه وآله، فقال له زدني يا سيدي، فقال عليه السلام: لو زادك جدي لزدناك، في أي قرية جرت هذه القصة؟

أ- النِباج ب- الأُبُلة ج- المذار

٢ **ملوكُ بني العباس في الكتب سبعةٌ**
ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ
خيارٌ إذا عُدّوا وثامنهم كلبُ

أبيات من قصيدة للشاعر دعبل بن علي الخزاعي، قالها معرضاً بخليفة من خلفاء بني العباس، فأي واحدٍ منهم قصده الشاعر بقوله؟

أ- هارون الرشيد ب- عبد الله المأمون ج- محمد المعتصم

٣ الحمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله أبلى بلاءاً حسنا في المواقف إلى أن قتل بأبشع قتلة، وقد تألم رسول الله لقتله وحزن حزناً شديداً وعندما نظر إيه وقد مُثّل به رق لحاله ثم صلى عليه، ودفنه في بطن الوادي بأحد، فكم صلاة صلى صلى الله عليه وآله عليه؟

أ- ٧٢ صلاة ب- ٧٤ صلاة ج-٧٦ صلاة

٤ (يا أمة نقضت عهود نبيها...) شطر بيت من قصيدة للشاعر الحلي (علاء الدين علي بن الحسين) الشهير بـ(الشّفهيني)، تعد هذه القصيدة من غرر القصائد التي نظمها، ما هو الشطر الثاني للشطر المتقدم؟

أ- وغدتْ مُقهقرةً على الأعقابِ
ب- أ فمن إلى نقض العهود دعاكِ
ج- أفمن بنقض عهودهم أوصاكِ

كوبون المسابقة

ينابيع ٧٠

الاسم الثلاثي: ..... العنوان: .....

جواب السؤال الأول
أ ب ج

جواب السؤال الثاني
أ ب ج

جواب السؤال الثالث
أ ب ج

جواب السؤال الرابع
أ ب ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. ويخلاف تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ذي الحجة/١٤٣٧هـ

جواب السؤال السابع	جواب السؤال السادس	جواب السؤال التاسع	جواب السؤال الخامس	جواب السؤال الثامن
أ	أ	أ	أ	أ
ب	ب	ب	ب	ب
ج	ج	ج	ج	ج

٥ لما توفي الإمام جعفر الصادق عليه السلام، التقى أبو حنيفة بأحد أصحاب الإمام عليه السلام بحضرة المهدي العباسي فقال له أبو حنيفة على نحو الاستهزاء والتشفي: قد مات إمامك، فقال له صاحب الإمام : إمامك من المنظرين إلى الوقت المعلوم، فبهت، فمن هو صاحب الأمام؟

أ- زرارة بن أعين ب- مؤمن الطاق ج- سدير الصيرفي

٦ قارنَ الإمامُ الصادق عليه السلام في حديثٍ له مع صاحبه عبد الله بن سنان بين من تبع معاوية طلبا للدنيا فكانت (ثلاثة عشر قبيلة) ومن تبع علياً عليه السلام فقال كانوا أنفاراً من قريش، فكم كان عددهم؟

أ- خمسة نفر ب- أربعة نفر ج- ثلاثة نفر

٧ من أدعية شهر رمضان المبارك، مروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، حيث قال في فضله: (لو عَلم الناسُ من عظمة هذه المسائل عند الله وسرعة إجابته لاقتتلوا عليه...) فما اسم هذا الدعاء؟

أ- دعاء الافتتاح ب- دعاء البهاء ج- دعاء المجير

٨ (اللهم إني أحمدك وأنت للحمد أهل، على حسن صنعك إلي وتعطفك علي، وعلى ما وصلتني به من نورك،...) فقرات من دعاء، دعا به أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قبيل واقعة من وقائعه الثلاثة الأخيرة ففي أي واحدة منهن ؟

أ- الجمل ب- صفين ج- النهروان

٩ الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين الحارثي العاملي الشهير بالشيخ البهائي كان أعجوبة الدهر في علمه وسعة اطلاعه، توفي في خراسان ودفن في صحن الإمام الرضا سنة ١٠٣٠ هـ، له عدة مؤلفات منها كتاب في أعمال اليوم والليلة، فما اسم هذا الكتاب؟

أ-مهج الدعوات ب- الإقبال ج- مفتاح الفلاح

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500

مساجدنا

مسجد امير المؤمنين الامام علي عليه السلام في المدينة المنورة محرم ١٣٢٦هـ

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية